الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ابن خلدون - تيارت –
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية
تخصص: تاريخ

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر تخصص: تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي
الموسومة بـــ:

وَلاَّدة بنت المستكفي وآثارها
(494-548هـ/1001-1091مـ)

إعداد الطالبات :
- بن عمارة دليلة
- بريم صافية
- بوزوينة خديجة

إشراف الأستاذ الدكتور:
بلقاسم بن عودة

لجنـــــة المناقشة

أ. بوخلــوة حســـين	**رئيســـــا**
د. بلقاسم بن عــودة	**مشرفا و مقررا**
أ. طويلب عبد القادر	**مناقشـــــا**

الموسم الجامعي
(1438-1439هـ/2017-2018مـ)

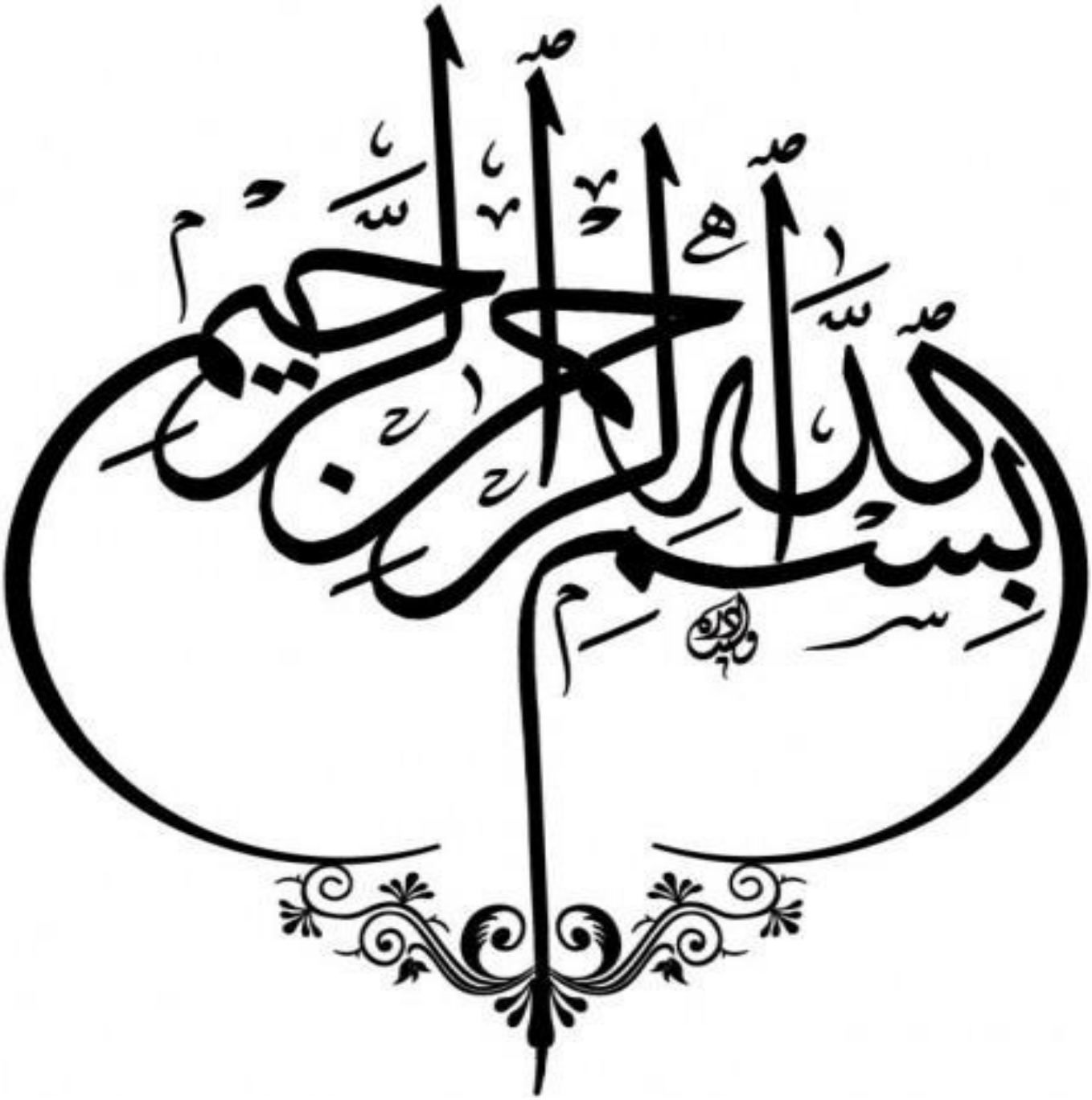
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الحمد لله الذي أنار لنا درب العلم و المعرفة و أعاننا على أداء هذا الواجب ودفعنا في إنجاز هذا العمل.

لا يسعنا أن نتوجه بالشكر الجزيل إلى كل من ساعدنا في إنجاز هذه المذكرة و نخص بالذكر الدكتور المشرف بلقاسم بن عودة الذي تجشم عناء الإشراف على البحث ولم يبخل علينا بالتوجيه و الإرشاد في مختلف مراحل البحث ، فكان لأرائـــــــــه ومناقشته و نقده خير موجه لنا في بحثنا ، فله منا كل التقدير و الإحترام ، كما لا يفوتنا أن نتقدم بالشكر الجزيل إلى كل أساتذة قسم العلوم الإنسانية و للجميع منا جزيل الشكر وعظيم الإمتنان .

إهداء

هناك أوقات تكون فيها العفوية أجمل فنعود أطفالا كأننا لم نكبر

و نحن لمن ربى وتحمل لذلك يا أجمل حضن في الدنيا جدتي

و جدي تغمدكما الرحمان برحمته الواسعة أهديكما عملي راجية أن تكونا راضيين.

إلى والدي الحبيبان و اخواتي خديجة ،إسماعيل ،محمد ،نصيرة

صافية وسمية ممتنة جدا لكم و لما قدمتم لأجلي، ليديا ، هبة و آمينة سندي الجميل ،متشكرة لكم و جميل العرفان إليكم ،وإلى أسامة

و حبيب شوقي و سيد علي كل الاحترام و التقدير لكم.

إليكم أهدي ثمرة بحثي .

إلى حبيبتي عمتي حليمة الحاضرة دائمة بقلبي أنت عنوان نجاحي أدامك الله تاجا لي.

دليلة

إهداء

إلى من جرع الكأس فارغا ليسقيني قطرة حب ، الى من كلت أنامله ليقدم لنا لحظة سعادة، إلى من حصد الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم، إلى القلب الكبير (والدي العزيز)

إلى ملاكي في الحياة...إلى معنى الحب ومعنى الحنان والتفاني، إلى بسمة الحياة وسر الوجود ، إلى من كان دعائها سر نجاحي و حنانها بلسم جراحي إلى أغلى الحبايب (أمي الحبيبة)

إلى من بها أكبر و عليها أعتمد ، إلى شمعة متقدمة تنير ظلمة حياتي ، إلى من بوجودها أكتسب قوة و محبة لا حدود لها (أختي فاطمة)

إلى ذلك الجبل الذي أسند عليه نفسي عند الشدائد ...إلى الشريان الذي يوصل الدم إلى قلبي...إلى رفيق دربي بالحياة (أخي محمد)

إلى من أرى التفاؤل بعينيه...، و السعادة في ضحكته، إلى شعلة الذكاء و النور، إلى الوجه المفعم بالبراءة... إلى سندي بالحياة (أخي هشام)

إلى توأم روحي و رفيقة دربي ، إلى صاحبة القلب الطيب و النوايا الصادقة ، إلى من رافقتني منذ أن حملنا حقائب صغيرة ، معك سرت الدرب خطوة بخطوة و لا تزال ترافقني حتى الآن (أختي سعاد)

إلى من وقف بجانبي في حلو الحياة و مرها إلى من تطلع إلى نجاحي بنظراتي الأمل ، إلى رمز الحب و العطاء (الخال العزيز الحاج)

إلى الأخوات اللواتي لم تلدهن أمي ، إلى من تميزوا بالوفاء و العطاء ، إلى من معهم سعدت ، و برفقتهم في دروب الحياة الحلوة و الحزينة سرت ، إلى من كانوا معي في طريق النجاح و الخير ،إلى من عرفت كيف أجدهم و علموني أن لا أضيعهم

(صديقاتي) .

صافية

إهداء

ما أجمل أن يجود المرء بأغلى ما لديه، لكن الأجمل أن يهدي الغالي الأغلى،

أهدي ثمرة جهد جهيدا أجنيها اليوم هي هدية رمزية أهديها إلى :

إلى منبع الجب والحنان التي غمرتني ورعتني بعطفها وحنانها
إلى من أضاءت درب الحياة بنور الأخلاق فعلمتنا أن العلم تواضع والعبادة إيمان و نجاح
إن من تطلبها عيني وهي في سوادها و يشتاقها قلبي وهي بين أضلعي ، من أمومتي قبل رحيلها
بمواصلة مشوار الدراسة أمـــــي الحبيبة رحمها الله وأسكنها فسيح جنــاته
إلى من علمنا معنى الحياة و الحياء و الحب و التضحية و العطاء
إلى من تكتحل عيناه برؤية ما جنيته ، إلى الذي لولاه لما وصلت إلى ما أنا عليه الآن ، أبي الغالي حفضه الله
إلى من شغلوا نصيبا من ذكر يأتي من عشت معهم أياما جميلة ، من ساندوني في الحياة عائشة ، زبيدة ، فاطمة ، طاهر ، جميلة ، نصيرة و كل عائلتي جوهرة حياتي
إلى روحي أخي ميلود رحمه الله .
إلى من تقاسمت معهم الأفراح و الأحزان صديقاتي، حياة، خيرة، صورية، فاطمة، العالية.
إلى كل من ساندني في هذا العمل

خديجة

مقدمة

مرت الأندلس بفترات تاريخية متميزة من حيث الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية، خلفت كل مرحلة إرثا مختلفا كان انعكاسا لطبيعة الظروف التي شهدتها هذه العدوة، ولعل أهم مرحلة كانت فاصلة في تاريخ الأندلس بسبب انعكاساتها المختلفة هي فترة ملوك الطوائف التي تعتبر مرحلة التناقضات، فبرغم الظروف السياسية الصعبة لهذه الفترة إلا أنها تعتبر خزان الأندلس الثقافي، بحيث خلفت إرثا ثقافيا هاما لا زال يحكي مجد الأندلس.

لطالما كانت قرطبة حاضرة الأندلس، وحافظة تاريخها وواجهة حضارتها، فبرغم تعاقب على هذه المنطقة أحداث بارزة ساهمت في عدم استقرارها الا أنها حاولت المحافظة على أساسها الثقافي والسياسي، فأضحت قرطبة مرجعية الأندلس ثقافيا في جميع فترات تاريخها، ومنها برز العديد في هذا الميدان، وان فقدت زعامتها السياسية فلم تزل تثري الثقافة الأندلسية عامة بإبداعات جديدة خاصة في مجال الأدب.

شهدت قرطبة في عصر ملوك الطوائف نهضة فكرية ككل دويلات الطوائف، وبرزت المرأة بشكل فعال في هذا المجال كنتيجة للحرية التي تمتعت بها فأضحت مشاركة في الشؤون الثقافية ومؤثرة في الحياة السياسية والاجتماعية، وبالتالي أصبح لها رأي واضح ، وبرزت المرأة في المجال الأدبي وخاصة نظم الشعر.

إن أشهر شاعرات الأندلس عامة هي شاعرة قرطبة الأولى ولادة بنت المستكفي التي تميزت بأسلوبها المبدع في نظم الشعر وتفردت بشخصيتها وطابعها الخاص، بحيث ازدهر الشعر في عصرها، فأضحت قرطبة فناءها الخاص الذي فيه دونت اسمها كشاعرة وأديبة، والتي أجمع عليها المؤرخون أنها أولى نساء عصرها.

تكمن أهمية دراسة شخصية ولادة بنت المستكفي في أنها تسلط الضوء على مكون أساسي في المجتمع الأندلسي وهو المرأة المثقفة، ودورها السياسي والاجتماعي إضافة للثقافي والإحاطة بتأثيراتها في عصر ملوك الطوائف، وأبرز ما مس حقوقها وأي تغير طرأ على طباعها في ظل التحولات السياسية المتسارعة لتلك الفترة، كما

أن موضوعنا يكتسي أهمية بالغة في دراسة ظاهرة الأخلاق في مجتمع ملوك الطوائف لارتباطه بالمرأة خاصة .

والدافع وراء اختيار موضوعنا هو رغبتنا في التعرف على هذه الأميرة الشاعرة التي استطاعت تدوين اسمها في تاريخ الأندلس في فترة عصيبة سياسيا واجتماعيا، أما من الناحية الموضوعية فتعد هذه الشاعرة نبض الأدب في قرطبة ومحرك الأحداث السياسية ومأثرة فيها الى حد بعيد نظرا لمكانتها الاجتماعية، لذلك لابد من الإلمام بتفاصيل شخصيتها ونوعية شعرها لاستخلاص نوعية أدب ملوك الطوائف وجانب من التاريخ السياسي والاجتماعي لقرطبة خاصة والأندلس عامة.

ومنه جاءت الإشكالية الاتية: من هي ولّادة بنت المستكفي؟ وإلى أي مدى ساهمت ولادة بنت المستكفي بالتأثير في الميدان الأندلسي عامة والقرطبي خاصة؟ وما هي انعكاسات هذه التأثيرات؟ أي مستوى تعليمي لهذه الأميرة؟ وكيف أثر على حياتها الثقافية والاجتماعية؟ وما أبرز سمات شخصيتها؟ لماذا كانت محرك الأحداث الثقافية والسياسية والاجتماعية في قرطبة؟ وبناءً على ذلك هل يمكن اعتبار ولادة مثال للمرأة الأندلسية في عصر ملوك الطوائف؟

لقد اقتضت طبيعة دراستنا إتباع المنهج التاريخي التحليلي الوصفي يتخلله المنهج الاستنباطي فضرورة البحث أوجبت علينا تحليل الأحداث التاريخية للخروج ببعض التفسيرات، أما المنهج الوصفي الاستنباطي كان ركيزة مهمة في بحثنا خاصة في استقراء الأبيات الشعرية للاستنتاج منها.

للإجابة على الإشكالية السالفة الذكر اتبعنا خطة البحث التالية، **الفصل الأول** كان مخصصا لدراسة شخصية ولادة بنت المستكفي وبالتحديد ظروف التنشئة والجانب الأسري لهذه الأميرة وتأثيراتهما على تكوين هوايتها الشعرية والسلوكية، تخلل هذا الفصل ثلاث مباحث، أولها نسب ونشأة ولادة بنت المستكفي، وثانيا المسيرة العلمية لهذه الشاعرة الأموية أما ثالثا فتطرقنا لوصف ابن زيدون لها.

والفصل الثاني: فاشتمل على ذكر أهم تأثيرات ولادة بنت المستكفي على الأصعدة السياسية والاجتماعية والثقافية، وأهم مآثرها في هذه المجالات السابقة الذكر وكانت مباحثه الثلاث تشمل ما يلي:

المبحث الأول: تأثيراتها السياسية ومدى قدرتها على البروز وتغيير موازين القوى.

والمبحث الثاني: شمل دراسة طبيعة شعرها وتأثيرها الثقافي.

أما المبحث الثالث: فكان مخصصا للجانب الاجتماعي ومدى تأثيرها على أخلاق المجتمع الأندلسي عامة.

أما الفصل الثالث: فقد جعلناه دراسة تطبيقية لبعض أعمالها الأدبية وما تعلق بها لذا قد قسمناه الى مبحثين **الأول** لدراسة الرسالة الهزلية وكيف عكست صورة ولادة وساهمت في تغيير مسار الأحداث، والمبحث الثاني فكان تقييم لهذه الشخصية الأندلسية الفريدة من نوعها.

وفي بحثنا استخدمنا مجموعة من المصادر و المراجع أهمها: ابن بسام **ومؤلفه الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة،** وقد أفادنا في معرفة تفاصيل هذه الشخصية كونه مصدر أدبي ثري جدا بتراث القرن 5 هـ/11م .

إضافة إلى **ديوان ابن زيدون لأبي الوليد ابن زيدون** وهو بمثابة خزان ضخم للغزل الذي قاله في ولادة بنت المستكفي، حيث قرب لنا تفاصيلها الحسية والمعنوية.

إضافة إلى **سرج العيون في شرح رسالة ابن زيدون** لابن نباتة المصري التي تعد مصدرا هاما في دراستنا حيث تناول الرسالة الهزلية التي قيلت على لسان ولادة بنت المستكفي ونسبت إليها بالشرح والتحليل.

ومن المراجع فكان **خالد الصوفي و مرجعه دولة بني جهور قاعدة أساسية** في بحثنا حيث مثل دراسة متكاملة لهذه الدولة في قرطبة من جميع النواحي السياسية ، الاجتماعية و الاقتصادية، إضافة الى تاريخ الأدب الأندلسي لإحسان عباس فقد

كان مرجعا أدبيا تاريخيا هاما ألم بجميع التراث الأدبي الأندلسي خلال عصر الطوائف.

كما كان دراسة **غراسيا غومس** مهمة جدا في دراستنا لتناوله الشعر الأندلسي خلال القرن 5هـ.

إن من الصعوبات التي واجهتنا هو نقص المادة العلمية من الجانب التاريخي للأميرة ولادة بنت المستكفي إلا ما تناوله المؤرخون في دفات المصادر والمراجع هنا وهناك وبشكل سريع حيث يمرون على هذه الشخصية مرور الكرام، مما اضطرنا إلى اللجوء إلى المصادر الأدبية التي تناولت أدب ولادة وابن زيدون ودولة ابن جهور على العموم فجعلنا نستل المعلومات التاريخية ونمزجها بالأدبية وبخاصة ما تعلق بتاريخها الأدبي الشعري ، مما اضطرنا نجنح للمزج بين الجانب التاريخي والأدبي، وقد يخيل للمتصفح لهذا البحث أنه أدبي أكثر منه تاريخيا.

وفي الختام نرجو من المولى جل وعلا أن نكون قد وفقنا في الوقوف على تاريخ هذه الشخصية التي سطرت اسمها في التاريخ الأندلسي بحروف من ذهب لا سيما في الجانب الأدبي وفي الظرف والطرف ولعلنا نأمل في أن نوسع بحثنا هذا في قابل الأيام بحول الله تعالى راجيين الله جل وعلى أن يوفقنا والشكر موصول للسيد المشرف الذي كان لنا نعم الموجه في هذه المسيرة العلمية ولكل من أسهم معنا في هذا البحث.

مدخل

الحياة الإجتماعية و الثقافية في قرطبة
في عصر ملوك الطوائف

1. التحولات الاجتماعية في قرطبة و تأثيراتها الثقافية:

كان القرن الخامس هجري، الحادي عشر ميلادي قرن للتطورات الهامة في الأندلس، فقد شهد مطلعه بداية الفتنة،[1] التي عمت الأندلس وأدت إلى سقوط الدولة الأموية بعد نيف وعشرون عاما من بدايتها[2].

وعلى الرغم من الفتن والاضطرابات التي سادت الأندلس في القرن الخامس هجري بسبب الانقسام واختلاف الرأي، الأمر الذي كان مناسبا للنصارى لاسترجاع قوامهم وتوحيد صفوفهم للإجهاز على هذه المماليك واحدة تلوى الأخرى، إلا أن الثقافة عموما استطاعت أن تخطو خطوات عملاقة، فعرفت هذه الفترة بفترة الازدهار الثقافي والأدبي والعلمي الذي احتضنته قصور الأمراء والملوك[3].

مما سبق نلاحظ أن الأندلس فقدت وحدتها السياسية لصالح مجموعة من الممال ك الطائفية التي بدورها تستغل الأندلس إلى مرحلة تاريخية جديدة يسودها العديد من التناقضات السياسية والاجتماعية والثقافية.

تتفق المصادر أن فترة ملوك الطوائف كانت أكثر الفترات اضطرابا سياسيا، أدى إلى بروز تلك الصورة الممزقة التي عاشتها الأندلس في القرن الخامس هجري، لذلك فمن الخطأ ربط هذه الاضطرابات بإيجابية الواقع الاجتماعي والثقافي في الأندلس.

---

[1]– بدأت بواكر سقوط الدولة العامرية مخلفة تركة ثقيلة من المشاكل و الفوضى و الأزمات المتلاحقة التي عرفت بالتاريخ الأندلسي بالفتنة البربرية، ثم إن هذه الفتنة جسدت هذا التناحر، وجسدت في شكل حرب أهلية، بعد وفاة عبد الملك الملقب بالمظفر سنة (399 هـ/ 1009 م) وتولية أخوه الذي كان طائشا مجاهرا بشرب الخمر ، ينظر : ابن عذارى المراكشي، البيان المغربي في أخبار الأندلس والمغرب، تح ليفي برفنسال، دار الثقافة، ط2، بيروت، 1980م، ج3، ص39.

[2] – خالد الصوفي ، تاريخ العرب في الأندلس ملوك الطوائف بنو جهور في قرطبة ، د.ط ، د.ت، ص 2 .

3 – ينظر المقري التلمساني، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ، تح إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت لبنان ، 1979م، ص358.

لكن لا ننفي أن هذه الاضطرابات السياسية أثرت على العمران باعتباره ثقافة أمة فقد تعرض للتخريب، وعمران قرطبة،[1] خير مثال على ذلك حيث يقول ابن عذارى "وانتهبت العامة المستجاثة على حرب الزاهرة ما كان فيها من الأموال والأسلحة والخزائن والأمتعة والآلات السلطانية، حتى اقتلعت الأبواب والوثائق والخشب وغير ذلك مما حوته القصور".[2]

وأصيبت الأندلس في عهد ملوك الطوائف بثلاث هزات عنيفة تركت أثرا بعيدا من إشاعة القلق والخوف والتوجس من المستقبل وردد الأدب صداها، وأولها استلاء النورمنديين على بربشتر وبلغ خبرها قرطبة بصدر شهر رمضان من ذاك العام 456هـ-1064م فصك الأسماع وإطار الأفئدة وزلزل أرض الأندلس قاطبة وصار لكل شغل يشغل الناس في التحدث به والتساؤل عنه[3].

إن هذه الاضطرابات تعكس صورة المجتمع الأندلسي الذي صار غير آمن ومتوجسا من الأخطار الخارجية إضافة إلى غياب اللحمة الاجتماعية بين أفراد المجتمع الأندلسي.

وقد حصرت 40 يوما من طرف جيش النورمانديين ولم يتحرك يوسف بن هود لنصرتها إضافة إلى سقوط طليطلة وأثره العظيم في نفوس الأندلس، ولما انقلبت الوحدة إلى التكثر وأصبحت الأندلس دولة متعددة لكل دولة حاكم وإدارة وجيش وحياة أدبية شبه مستقلة[4].

كان من المتوقع أن يحل محل الخلافة الأموية في قرطبة سلطة تتسلم مقاليد الأمور في الأندلس وتفرض سيطرتها على جميع أنحاء البلاد، إلا إن شيء من ذلك لم يحدث، فالأسرة الجهورية وصلت للحكم في قرطبة و لم تستطع أن تمد سلطتها في كل

---

1 – كلمة فيها أحسب عجمية رومية، ولها في العربية مجال يجوز أن بكون من القرطبة وهو العدو الشديد، وأعظم مدينة في الأندلس قرطبة وليس لها في المغرب شبيه في كثرة الأهل وسعة الرفعة وبينها وبين البحر خمسة أيام، ينظر: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي ، معجم البلدان، المجلد الرابع، دار الصادر، ص 324.

2– ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق، ص69.

3 – إحسان عباس ، تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف و المرابطين ،دار الشروق، ط1 ، 1997م ، ص16.

4 – خالد الصوفي ،المرجع السابق، ص 17 .

أنحاء البلاد، بل أن هذه السلطة لم تكن تتعدى رقعة معينة تشمل قرطبة و ما جاورها[1].

إذن فإن قرطبة اجتمع أهلها بعد إلغاء الخلافة وعمدوا إلى ابن جمهور فأسندوا إليه السلطة التنفيذي، وقد كان مشهورا عندهم جميعا بجدارته وكفايته لتقلد هذا المنصب في الحكم[2].

وإذ لم تكن قرطبة من حيث رفعتها الإقليمية ومواردها الاقتصادية والعسكرية أهم دول الطوائف، فقد كانت من الناحية الأدبية ذات أهمية خاصة نظرا لكونها كانت مقر الخلافة وقاعدة الحكومة المركزية وفي وسعها ومن الناحية الأدبية أيضا أن تدعي الولاية الاسمية، على الأقل على باقي الإمارات والمدن الأندلسية الأخرى وما ادعته حكومة قرطبة المحلية بالفعل.[3]

لقد حاولت قرطبة الصمود في وجه التفكك الذي أصاب الأندلس في أعقاب الفتنة التي تسببت في عدة اضطرابات سياسية واجتماعية، بالرغم من فقدانها التأثير اللازم على باقي المماليك .

كانت قرطبة الأموية ملتقى أجناس من الشرق والغرب وموضع امتزاج بعضها ببعض، وعندما انهار صرح خلافتها انتثر عقد بلادها، وقام على أنقاضها رؤساء طوائف العرب وأمراء الجماعات البربرية وفتيان صقالبة الأصول فتقاسموها فيما بينهم إمارات [4].

ولقد كانت قرطبة بلد نصف عربي يتحدث أهله العربية و عجمية أهل الأندلس، ويختلط فيه رنين الأجراس بآذان المؤذنين، وكان بعض شعراء الأندلس يفيئون إلى

---

1 – إحسان عباس، المرجع السابق، ص 07

2 – رينهارت دوزي، ملوك الطوائف و نفحات في تاريخ الإسلام، تر: كامل كيلاني، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط 1، 2013م، ص 11 .

3 – محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، مطبعة المدني، ط4، 1997م، ص 17 .

4 – امليو غرسية غومس ، الشعر الأندلسي بحث في تطوره و خصائصه ، تر: حسين مؤنس ، مكتبة النهضة المصرية ، ط $_1$ ، 1952م ، ص 43 .

ظلال البيع المستعربة الصغيرة ليصيبوا شيئا من النبيذ، فجددوا بذلك ما عرفه شعراء البدو من شرب النبيذ في الصحراء، ونجم عن اختلاط الأجناس بعضها ببعض ومجاورة الديانات بعضها ببعض جو سمح جميل إنساني شفاف، هو نفس الجو الذي تعرفه في بغداد كما تصورها.[1]

نحن مضطرين بعد هذا أن ننظر إلى التجاوب بين المجتمع الأندلسي وأدبه نظرة كلية لا تتجزأ، لأن اللغة والدين والثقافة العربية والإسلامية كانت قاسما مشتركا بين دول القطر الأندلسي كلها وفي مختلف عصوره برغم التطورات العارضة والفوارق الطبقية[2].

للإشارة فإن بالرغم من أن الأندلس أصبحت موزعة بين عدد كبير من الأمراء الذين عرفوا في التاريخ باسم ملوك الطوائف الذين تميزوا بالصراع السياسي إلا أنهم حاولوا التنافس على المستوى الثقافي كذلك، وهذه ميزة إيجابية لهؤلاء[3].

فبالرغم من الأوضاع السياسية السيئة والاضطرابات المستمرة فقد انتشرت الآداب والعلوم، وكان العلماء يتنافسون في تعزيزها وأصبح الاهتمام بالمكتبات أمرا بارزا.

إن من نتائج الفتنة تعطيل النشاط الثقافي خاصة في قرطبة التي لم تكن العاصمة السياسية في الأندلس، وحسب، بل كانت عاصمة للشعر، التأليف والفقه والأدب[4].

وبما أنها العاصمة السياسية للأندلس فقد مستها خسائر جسمية، نتيجة التحولات السياسية فحولتها إلى عاصمة للخراب وهذا ما يؤكده ابن حزم في قوله: "فرأيتها أي

---

[1] – امليوغرسية غومس ، المرجع السابق ، ص 35 .

2 – محمد سعيد الدغلي، الحياة الاجتماعية في الأندلس و أثرها في الأدب العربي و في الأدب الأندلسي، ط1، 1948م، ص23.

3– ابن زيدون، ديوان ابن زيدون ،شرح : يوسف فرحات،دار الكتاب العربي، ط 2 ، 1994 م، ص 10 .

4– ابن بسام الشنتريني ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحسان عباس، القسم الأول، المجلد الأول، الدار العربية للكتاب، د.ط، د.ت، ص 33 .

قرطبة قد صحت رسومها وطمست أعلامها وخفيت معالمها، فصارت صحاري محدبة بعد عمران ومأوى للذئاب ومخابئ للصوص"[1].

لقد فقدت قرطبة تأثيرها نسبيا في أعقاب الفتنة الأندلسية فقد انتقلت للأندلس من الأحادية القرطبية إلى تعدد المرجعيات الثقافية، أي بغدادات صغيرة كثيرة.

وقد تأثر الشعراء بمحنة قرطبة فمنهم من بكى قرطبة قليلا، وتحصر على ما فات وتلذذ في تيه الضياع زمنا يفتش عن الحامي الذي يرتزق من عطاياه ويتفق لديه سلط، وما لبثت الأمور أن عادت تجري مجراها، وإذ كان كل أمير لدى أي شاعر هو أعظم الناس وأكرمهم وأشجعهم[2].

لقد تعددت البلاطات واجتهد كل ملك في استقطاب العلماء والشعراء وهذه الحركة شجعها الملوك واعتنوا بها، بل ساهموا فيها بما تجود به قرائحهم لتنثر وتزدهر[3].

أما الأدب ولاسيما الشعر، فكانت سوقه نافقة ومجالسه من أكبر مسارح الأفكار وأفخم مظاهر الجمال وأجمع أنواع الأدب واللهو والجدل الهزلي[4].

ولا تحدثنا المصادر بشيء ذي بال عن مدى تشجيع الدولة الجهورية بقرطبة للأدب والعلم، وإن كانت قرطبة قد أنجبت في هذا العصر ابن زيدون وولادة الشاعرة وغيرهم من الأدباء والعلماء، ونسمع أن عبد الرحمن ابن الفتوح ألف كتابا عنوانه بستان الملوك رفعه الجمهورية بقرطبة للأدب والعلم، وإن كانت قرطبة قد أنجزت في هذا العصر ابن زيدون وابن حيان إلى أين جهور أيام إمارته بقرطبة، ولكن يبدو أن بلاط قرطبة لم يعد كما كانفي عهود الخلفاء الأمويين، والحجاب منتجعا للشاعر والأديب ومأوى للعلماء والأدباء[5].

1– ابن حزم، رسائل ابن حزم الأندلسي، ج1، تح: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، د.ط، 1980م ، ص 311 .

2 . إحسان عباس ، المرجع ، السابق ، ص 10.

3 . عمر ربوح، أبو بكر محمد بن عمار الأندلسي، حياته وشعره، جامعة باتنة، 1995، 1996م، ص 41.

4 – أحمد ضيف ، بلاغة العرب في الأندلس ، دار المعارف و النشر ،ط 2 ،د.ت، ص 35 .

5– إحسان عباس ، المرجع السابق ، ص 59 .

وبالتالي فإن قرطبة أثناء الخلافة الأموية تختلف تماما عن قرطبة في عهد الملوك الطوائف، بحيث تراجعت مكانتها نسبيا في ظل تصاعد تيارات ثقافية جديدة خاصة في اشبيلية .

كان لكل أمير من أمراء الطوائف ميزة اختص بها دون جيرانه في العلوم، أما الشعر فكان أمرا مشتركا بينهم جميعا يلقى منهم كل الرعاية[1].

لم يكن الشعر دخيلا على الأندلس في فترة ملوك الطوائف، بل إن الأندلس عرفته قبلا، وخاصة في قرطبة، فقد ساهمت الظروف السياسية والدينية والاجتماعية في هذا الفن. في المنطقة، فقد عرف القرطبيون بالشعر الجاهلي حيث كانت بيئة الأندلس آنذاك جوا ملائما لتدفق خيالهم وإبداعاتهم في هذا المجال[2].

يقول المقري في مكانة الشعراء: "والشعر عندهم أهل الأندلس له حظ عظيم والشعراء من ملوكهم وجاهة أولهم عليهم ووظائف والمجيدون منهم ينشدون في مجالس عظماء سلوكهم المختلفة[3].

وعلى غرار المشارقة اهتم الشعراء بالموضوعات الشعرية التقليدية، فراجت المدائح والمراثي والتهان، كما راج وصف مجالس اللهو التي كانت تحفل بها القصور، وعالج الشعراء الموضوعات التي توجهها الحياة العلمية وما فيها من أحداث فكان القضاء والقدر هو العنوان البارز فيها[4].

أما الأدب فقد شهد أرقى مراحل ازدهاره بعدما تحولت بلاطات الأمراء عامة إلى منتديات يقصدها الشعراء والكتاب ليفيد الأعطيات، وقد قلد الأرستقراطيون الأمراء فحولوا قصورهم ومنازلهم إلى مجالس ثقافية[5].

1– غراسية غومس، المرجع السابق ، ص 45 .

2– بالنثيا انخل جينثالث، تاريخ الفكر الأندلسي، تر: حسين مؤنس، المكتبة الثقافية الدينية، د.ط،د.ت، ص42.

3 – المقري، المصدر السابق، ص 222 .

4 – ابن زيدون، المصدر السابق ، ص 11 .

5 . ابن زيدون ، نفسه ، ص 10–11 .

تدور غالبية الآراء على أن الحياة الاجتماعية مرتبطة إلى حد كبير بالحياة الأدبية بل أن الحياة الاجتماعية تنعكس في أدب العصر وتتفاعل معه، وكذلك الأديب الذي يعيش فيه قد يتأثر تأثرا شديدا بالحياة حوله، لأن الشاعر يعيش أزمات عصره ويتفاعل معها، وشعره ما هو إلا انعكاس للحالة الاجتماعية والنفسية له.

ومضى الشعراء يقطعون الأندلس طولا وعرضا ينتجون قصور الأمراء... وتدرج أسمائهم في سجلات الدواوين وتقرر لهم الأرزاق وتخلع عليهم وظائف التدريس وقد كان الواحد منهم يرتجل المقطوعة قصيرة فيبلغ بها الوزارة[1].

والواقع أن الشعراء والكتاب كانوا إما أبناء الخاصة وأدبهم يعكس حياتهم، إما من خارج الخاصة وفي هذه الحالة يستخدم الأديب نبوغه لتحسين وضعه الحياتي وما من سبيل أمام الأدباء سوى تقديم إنتاجهم إلى الطبقة الغنية القادرة على المكافأة، من هنا فإن الشاعر المبدع هو من حاز إعجاب الملوك[2].

ومن أهم صفات هذا العصر أنه ماج بالحروب فكثرت الهجرة الداخلية والخارجية كثرة ظاهرة، فنتيجة الصراع من ملوك الطوائف أنفسهم والصراع بين العرب والبربر وما خلفه ذلك من آثار جعل الناس ينتقلون من مدينة إلى أخرى بحثا عن ملاذ آمن، لكن ذلك لم يمنع من أن يكون هذا العصر أزهى من عصور الأندلس ثقافيا، فقد ارتبط هذا العصر بأعلام مشهورة لمعت في آفاق العلوم والفنون[3].

---

[1] . غراسية غومس ، المرجع السابق ، ص 46 .

[2] ابن زيدون ،المصدر السابق ، ص 11 .

3 – رحمى عمران ، صورة المرأة في الشعر الأندلسي في عصر الطوائف ، مجلة القسم العربي ، جامعة بن جاب لاهور ، باكستان ، العدد 18 ، 2011 م ، ص 180 .

2 – مكانة المرأة في المجتمع القرطبي :

يلح ابن خلدون على ضرورة التمسك بالأخلاق في مسألة البناء الاجتماعي لتحقيق المسار الصحيح في استمرارية المجتمع وإن حدث العكس فهي بداية الانحلال والسقوط[1].

وعليه فإن الأندلس لم تتعرض لنقلة سياسية فحسب، بل شهدت تحولات اجتماعية عديدة مست المرأة الأندلسية خاصة، وكل المجتمع عامة انعكس صداها ثقافيا .

إن ما ميز هذا العصر حضاريا هو ذلك الجانب المترف القائم على الإبداع في شؤون القصور والحدائق، إن ذلك الجانب الحضاري الذي تتوجه إليه أخيلتنا كلما تذكرنا مجد الأندلس في ذلك الوقت والجانب الذي ينبسط ويتطاول حتى يحول بيننا وبين جوانب الضعف والتخلف في المظاهر الكبرى[2].

وسادت في ذلك العصر كله روح البذخ المسرف، والإجرام السافر الذي يتورع عن شيء من المطامع والنزوات إلى الخناجر والسيوف، لكن ذلك لا ينفي أن يكون هذا الزمان عصرا عظيما للشعر والشعراء؛ إذ تتنافس ملوك الطوائف على اجتذاب الشعراء إلى نواحيهم ومدق الشقندى من قال في رسالته: "ولم يزل الشعراء ... تفتك في أموالهم فتكة البراض"[3].

مما سبق، يتبين أن عصر الطوائف ساده الكثير من التناقضات فبين حياة اجتماعية تغيب فيها الكثير من القيم التي عرف بها أهل الأندلس وحياة ثقافية يحاول ملوك الطوائف إنعاشها خدمة لهم.

وإن شهد عصر ملوك الطوائف تشجيعا لهؤلاء الملوك للثقافة، عموما كما أشرنا سابقا فقد حظيت المرأة كذلك بدور مهم في هذا المجال خاصة في الحياة الأدبية، فقد كثر عدد الإماء والجواري في القصور ودور الأغنياء، وقد برز من النساء عدد كبير

---

[1] – ابن خلدون ، المقدمة ، دار الكتاب اللبناني ، ط 3 ، بيروت ، 1967م ،ص 299 .

[2] . محمد سعيد الدغلي ، المرجع السابق ، ص 35.

3 . غراسية غومس ، المرجع السابق ، ص 45 .

من الشاعرات وفي طليعتهن **ولادة بنت المستكفي** التي اقترن اسمها بابن زيدون، كل هذا ساعد على انتشار شعر اللهو والخمريات والغزل [1].

ومن هنا لابد أن نفرق بين المرأة الأرستقراطية والمرأة العامية، فالمرأة في الوسط الأرستقراطي لها وضع خاص بسبب تأثيرها في دواليب الحكم، فهي غير مضطرة للقيام بأي عمل داخل البيت أو خارجه، فهن متفرغات البال من كل شيء إلا من الغزل وأسبابه، ولا شغل لهن غيره[2].

إذا تدخلت المرأة الأندلسية في السياسة وجهتها للحصول على مكانة هامة لدى الحكام، أما على مستوى الحياة العاطفية، فمارست الحب والغزل والعشق بطريقة موغلة في الصراحة إلى حد الاستهتار، خاصة في عهد ملوك الطوائف[3].

كثر الجواري بالأندلس بسبب كثرة الحروب والمعارك التي خاضها المسلمون منذ الممالك المسيحية في إسبانيا و بلاد الفرنجة، ويقصد بالجواري أو الإماء النساء المملوكات اللواتي ...بيع العبيد[4] .

وقد استطاعت المرأة وإن اختلفت منزلتها الاجتماعية أن تفرض نفسها في المجتمع الذي تعيش فيه، وأسست لنفسها مكانة في الهرم الاجتماعي بالمساهمة في بناء الأحداث وبلورتها.

---

1 – ابن زيدون،المصدرالسابق ، ص 11 .

2– ابن حزم، طوق الحمامة في الألفة و الآلاف، تح: محمد يوسف الشيخ ومحمد وغريد الشيخ، دار الكتاب اللبناني، ط1، بيروت، 2004م ، ص 63 .

3–حسن احمد النوش، التصوير الفني للحياة الاجتماعية في الأندلس، دار الجيل، ط1، بيروت، 1999م، ص*388* .

4– حسين يوسف دويدار ، المجتمع الأندلسي ، في العصر الأموي، مطبعة الحسين الأندلسية، ط1 ،1994م، ص314.

مما سبق، فقد تهافت ملوك الطوائف عامة على اقتناء الجواري بل وتنافسوا في ذلك، كما كان لهن تأثير في المجتمع الأندلسي حيث أن أحد شوارع قرطبة مازال يحمل حتى يومنا هذا اسم شارع زقاق السود نسبة للإماء السودانيات [1].

لقد تمتعت المرأة الأندلسية بكثير من المزايا، لكن ذلك لم يمنع من انتشار بعض الآفات منها معاكسة النساء في الشوارع من طرف بعض الفئات الشبانية الطائشة خاصة وأن معطيات المعاكسة منتشر وفي الشارع الأندلسي، ومثال ذلك حي العطارين بقرطبة والذي كان مجمعا للنساء، حيث نرى المعجبين بالنساء يتبعهن بالسير خلفهن[2].

إن تغيير الذهنية الثقافية للمرأة الأندلسية ساهم بظهور ملامح جديدة للمجتمع القرطبي تفاوتت بين الإيجابية والسلبية.

ولعل من أهم الصفات المذمومة لدى المجتمع الأندلسي عموما والتي كانت منتشرة الجلوس على الطرقات وتتبع عورات النساء، خاصة النساء اللواتي يخرجن من الحمام[3].

1 – رواية شافع عبد الحميد، المرأة في المجتمع الأندلسي من الفتح الإسلامي للأندلس حتى سقوط قرطبة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1 ، 2006م ، ص 184 .

2 – ابن حزم ، طوق الحمامة ، المصدر السابق ، ص33 .

3– الزجالي ، أمثال العوام في الأندلس ، تح: محمد بن شريفة ، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية و التعليم الأهلي ، المغرب ، القسم الثاني ، 1971م ، ص 10 .

الفصل الأول

وَلّادة بنت المستكفي

المبحث الأول : نسبها ونشأتها.

المبحث الثاني : مسيرتها العلمية.

المبحث الثالث: وصف ابن زيدون لها ووفاتها.

1: نسبها ونشأتها

أ- مولدها وشبابها:

يتميز المجتمع الأندلسي عن غيره من المجتمعات بأنه مجتمع يكاد يكون كله من الشعراء، وكان الحس الشعري سمة مشتركة بين أفراده، وقد استطاعت المرأة الأندلسية أن تظفر بحظ كبير من النشاط العلمي والأدبي، كما أسلفنا الذكر لذلك فرضت نفسها على الشعر النسوي.

تميز عصر ملوك الطوائف بازدهار الشعر وتطوره، ومن أبرز شعراء هذا العصر ولادة بنت المستكفي والتي كانت امرأة مثيرة للجدل استنادا لمختلف الروايات التاريخية التي وردت تذكر سيرتها.

امتازت هذه الشاعرة والأميرة الأندلسية القرطبية ببراعة في عالم الشعر وتميزت في دنيا الناس وتأثيراتها، تعدت المجال الأدبي فقد تحررت من مواصفات المجتمع، فهي أميرة وابنة خليفة، وسارت بأخبارها الأيام وقصائدها الشعرية الموروثة عنها عكست شخصيتها بين الشاعرة الرقيقة والعاشقة الجريئة، ونالت من الشهرة فوق ما تتمنى وبذلك أضحت سيدة قرطبة الأولى بأتم عنى الكلمة في عهد بني جهور.[1]

بالفعل أضحت ولادة بنت المستكفي أول نساء عصرها فقد قامت بثورة اجتماعية ثقافية في الميدان الأندلسي،[2] للإشارة فإن ولادة جمعت الشعر والغناء لذلك كسبت شهرة واسعة.

[1]- الطاهر أمحمد مكي، دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، دار المعارف، ط2، القاهرة، 1987، ص78.

[2]- أغناطيوس كراتشوفيسكي، دراسات في التاريخ والأدب العربي، دار النشر علم موسكو، د.ط، 1965، ص116.

تنتسب ولادة إلى بيت أموي عريق، فوالدها هو الخليفة المستكفي بالله الذي أجمع المؤرخون على وصفه بالتخلف والانغماس في الملذات وقد قيل في وصفه "ربعة أشقر أزرق أشم مدور الوجه واللحية، ضخم الوجه والجسم، كبير البطن، صاحب أكل ومشرب وجماع وتخلف".[1]

إذاً فولادة هي بنت الخليفة المستكفي بالله محمد بن عبيد الله بن الناصر لدين الله الذي بويع بالخلافة في شهر ذي القعدة 414 هـ (يناير 1024م) وخُلع في شهر ربيع الأول 416 هـ (آيار مايو 1015 م)، بعد أن قضى في الخلافة حوالي سبعة عشر شهر.[2]

وكان توليه أمير المسلمين في قرطبة طامة كبرى إذ يصور أبو حيان في قوله: "ارسل الله تعالى على أهل قرطبة محنة وبلية، إذا كان منذ عرف غفلا منقطعا إلى البطالة، مجبولا على الجهالة، عاطلا من كل خصلة تدل فضيلة، فأملق حتى استجار صلب الصدقة رايته أيام النسق بأهل بيته في الدولة الأموية ولم يكن معنا لحقه الاعتقال لتحقير أمره".[3] تم خلع هذا الخليفة وفر من قرطبة سنة 416هـ-1025م واغتاله في الطريق بعض أصحابه.[4]

[1]- الضَّبي، الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تح: ابراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، ط1، ج3، 1989م، ص 140-141.

[2]- خالد الصوفي، المرجع السابق،ص 71.

[3]- ابن بسام الشنتريني، المصدر السابق، ص 280.

[4]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق،ص425

وقد تزوج من أمة مسيحية قيل بأنها أو ولادة فكانت ولادة ثمرة هذا الزواج[1]، وبذلك فولادة ابنة جارية نصرانية، وكانت ناصعة المحيا، زرقاء العينين، حمراء الشعر، رائعة الحسن.[2]

وقد وصفها أحدهم قائلا: "صاغها الله من فضة خالصة وتوج رأسها بشعر كالبتر إصفرارا، وهي بديعة المهوى القرط، ممشوقة القوام، بارزة الصدر، دقيقة الخصر، رقيقة البشرة قاتنة العينين.[3]

مما سبق فقد تسللت لولادة بعض اللمحات من والدها[4] ويبالغ البعض في بيان أثر هذا الزواج وفي غلبة الدم الإسباني على الدم العربي في عروق الأبناء، وأن هؤلاء الأبناء لم يبق لهم من الدم العربي بمرور الزمن إلا قطرات قليلة، وأن ما ساهم في تقويض الأندلس وميل سكانها للترف هو تزوجهم من القوطيات الإسبانيات الذين أضفن روح العروبة في أبنائهن.[5]

وقد ساعدت عدة عوامل في تنامي دور المرأة الأندلسية بصيغة عامة لتمتعها بقسط وفير من الحرية والنفوذ لوم تعرفه بغداد في أوج ازدهارها.[6]

---

[1]– المقري التلمساني، المصدر السابق ، ص201.

[2]– محمد عبد الله عنان، نفسه، ص 425–426.

[3]– المقري التلمساني، المصدر السابق، ص 202.

[4]– ابن بسام،المصدر السابق،ص133

[5]– فائزة حمزة عباس، صورة من اسهامات المرأة الأندلسية، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، العدد 3، دار الفكر، ص23.

[6]– سعيد بوفلاقة، الشعر النسوي الأندلسي، ديوان المطبوعات الجامعية،د.ط، الجزائر، 1995، ص 29.

وما يمكن التوصل إليه من خلال ما سبق أن هؤلاء النسوة الإسبانيات النصرانيات حتى من أسلم منهن بيقين، ينظرون إلى الأخلاق وإلى المجتمع من خلال موروثهن الإجتماعي.[1]

إنّ ولادة بنت المستكفي كانت ثمرة هذا الزواج المختلط وحملت في جيناتها الملامح الإسبانية واللسان العربي الفصيح وشخصية يكتنفها الكثير من الجدل.

وتدل الأوصاف على أنها كانت بيضاء البشرة بنت سكرى المورودية الجارية الشريرة التي استبدت بالمستكفي والتي يصفها ابن حيان بأنها كانت حبشية.[2]

ب – أثر شخصية والديها في تنشأتها:

إن سيرة والدها والذي يبتعد تمام عن النموذج للأب الفاضل أثر في حياتها وتسللت بعض اللمحات منه على الرغم من عظمة أجدادها.[3]

فحسب ما سبق فإن ولادة سليلة العظماء شهد لهم الزمان بالعظمة ولو أننا تقبلنا هذه الرواية مسلمين بفساد والدها يمكن بذلك أن نفسر هذا أن ولادة جمعت بين النسب الراقي وبعض الأخلاق التي صنفها الكثير من المؤرخين على أنها فاسدة.

ورغم ذلك فالروايات تجمع على أن ولادة بنت المستكفي أميرة مناصب الملوك بالغة الترف والأناقة.[4]

---

[1]– أحمد المقري التلمساني، المصدر السابق، ص 205.

[2]– أميليو غرسية غومس، المرجع السابق،ص49.

[3]– يونس هاشم مجيد، معاني الغزل عند شاعرات الأندلس، مجلة الفتح، العدد 14، جامعة ديالي كلية التربية الإنسانية، 2005، ص 30

[4]– أحمد المقري التلمساني، نفسه، ص 206.

وكانت كذلك شاعرة جزلة القول حسنة الشعر كانت تماطل الشعراء وتجالس العلماء.[1]

إن ما نستخلصه وأن البيئة الأسرية لولادة بنت المستكفي قد انعكست على ملامح شخصيتها ونشأتها وهذا شيء طبيعي ولا يمكن إهمال بعض التحولات التي مرت بها الأندلس عقب الفتنة الطائفية وانعكاساتها على المجتمع الأندلسي عامة في نشأتها جيل كاملا من الأندلسيين كما أشرنا سابقا.

تتفق المصادر على أن ولادة بنت المستكفي من أهم الشعارات في قرطبة وبما أن المرأة شعرت بأهميتها في المجتمع فسفرت الرجل وتصاوله وتجادله وتجعل من بيتها منتدى يلتقي فيه الأدباء والشعراء فتقدمت ولادة في هذا المضمار.[2]

وقد بدأ ظهور ولادة في المجتمع القرطبي على إثر نكبة والدها وخلعه من الخلافة ثم مقتله، حين ذاك ابتذل حجابها وأقامت الندوة الأدبية في قصرها.[3]

لذلك يشير الكثير أنها كانت أول من سن سنة الإنكشاف في المجتمع الأندلسي.[4]

ويذكرها ابن بلسام في ذخيرته فيقول عنها: "كانت من نساء أهل زمانها واحدة من أقرانها حضور شاهد... وحسن منظر ومخبر وحلاوة مورد ومصدر".[5]

ويقول ابن خاقان عنها: "أنها كانت بالمغرب كحلية بالمشرق إلا أن هذه تزيد الحسن".[6]

---

[1]– أميليو غرسية غومس، المرجع السابق، ص 60.

[2]– محمد سعيد دغيلي، المرجع السابق، ص 57.

[3]– خالد الصوفي، المرجع السابق،ص 71.

[4]–هنري بيريس، الشعر الأندلسي في عصر الطوائف، تر: الطاهر أحمد مكي، دار المعارف،ط1،دت ،ص 349.

[5]–ابن بسام الشنتريني، المصدر السابق، ص 281.

[6]– ابن خاقان، قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، مطبعة التقدم العلمية،ط1، مصر، 1320هـ، ص 73.

تجمع جميع الروايات التي تتحدث عن ولادة عن حسنها وجمالها وجرأتها لقوة شخصيتها وما ساعد في ذلك هو نسبها.

وجدير بالذكر ونحن نتحدث عن جرأة ولادة وتحررها، أن نشير إلى أن ولادة ورغم سهولة حجابها إلا أنها لم تنزلق إلى مأثمة بدليل قولها:

إِنِّي وَإِنْ نَظَرَ الأَنامُ إِلَى بَهْجَتِي كَظِبَاءِ مَكَةَ صَيْدُهُنَّ حَرَامُ[1]

لكي الدكتور علي عبد العظيم يشير أن ولادة من خلال هذا البيت الشعري مصابة بالسادية ويرجع أسباب هذا إلى الوراثة من ناحية والدها.[2]

كما وصفها آخرون بأنها امرأة رجُلة.[3]

إن هذه الإتهامات التي وجهت لشاعرتنا تعد نوعا من الترهات فقد اتهمت بميلها لبنات جنسها –الجنسية المثلية– وشبهت بذلك بالشاعرة الإغريقية سافو[4] ولكن انزواء ولادة عن الناس وعزوفها عن الزواج، دليل على خيبات تعرضت لها في حياتها العاطفية ولا يمكن الجزم بحقيقة هذه الاتهامات.

كما يشير البعض إلى نظراتها الفوقية إلى من حولها ومما قوى ذلك نظرات الإنبهار التي انصبت عليها من كبار الدولة إلى غرورها.[5]

ما يمكن استخلاصه مما سبق أن عوامل عدة ساهمت في تكوين شخصية ولادة بنت المستكفي وتبقى هذه الاخيرة محط الكثير من الجدل بالفعل.

---

[1]– أبو الوليد ابن زيدون، ديوان ابن زيدون ، تح: عباس ابراهيم، ، دار الفكر العربي،ط1،1996م، ص 30.

[2]– إميليو غرسية، المرجع السابق، ص 49.

[3]– ابن زيدون، ديوان ابن زيدون شرح : يوسف فرحات، المصدر السابق، ص 38.

[4]– آنخل جنثالث بانثيا، المرجع السابق، ص 84.

[5]– إحسان عباس،المرجع السابق ، ص 132.

إن ولادة شخصيةٌ واضحة ونسبة الشذوذ الجنسي اليها إنما هو من التجاوز بل من التعدي الذي تقره الدراسة المنصفة القائمة على الشواهد.[1]

يصفها ابن بسام قائلا: "على أنها سمح الله لها وتغمد زلالها أطرحت التحصيل وأوجدت إلى القول فيها سبيل بقلة مبادلاتها ومجاهرتها بلذاتها".[2]

إن هذا القول يدعم فعلا التيار القائل بأن ولادة شخصية شهوانية متحررة إلى حد بعيد مجاهرة بلذاتها.

كما استحقت ولادة على ما يظهر ثناء الكثيرين، فذكر صاحب نزهة الأبصار بقوله: "كانت رشيقة الطبع، كريمة النفس، شريفة الأصل، جميلة الشكل".[3]

تواترت كثير من الأوصاف في حق ولادة بنت المستكفي بأنها من أشهر شاعرات الأندلس على الإطلاق بل أشهر شخصية نسائية في التاريخ الأندلسي كله، وذلك للشهرة التي تنعم بها أديبة شاعرة.[4]

وما زاد من شهرتها افتتاحها في قصرها ندوة للعلماء والعظماء والشعراء، يتجمعون فيها ويتبادلون الأحاديث والشعر والنكات.

إن هذا التحرر من حيث شيوع الإختلاط بين الجنسين وزيادة ولادة بنت المستكفي في ذلك جعل من هذه التحليلات السابقة حول شخصيتها تكسب نوعا من الشرعية.[5]

تجدر الإشارة إلى أن ازدهار الشعر في عصر ملوك الطوائف يعود حسب الأستاذ "نيكل" إلى ما كان ينتسم به هذا العصر من حريات، ترتب عليها الإغضاء عن كثير من

---

[1]– ابن بسام الشنتريني، المصدر السابق، ص 282.

[2]– خالد الصوفي، المرجع السابق، ص 70.

3– خير الدين الزركلي، قاموس الإعلام والتراجم، دار العلم للملايين، ط3،بيروت، 1980م، ج8، ص118.

[4]– خالد الصوفي، نفسه، ص71.

[5]– محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 424.

القيود الدينية. ولا سيما ما تعلق منها بتحريم الخمر وحجاب المرأة، وإلى ذيوع العلاقات الغرامية بين الجنسين.[1]

وقد وصف ابن بسام ولادة مثالا بطهارة الأثواب بعدما قال عنها أنها مجاهرة بلذاتها وقال فيها أبي عبد الله بن مكي شيخ ابن بشكوال: "لم يكن لها تصاون يطابق شرفها".[2]

وما يعكس ذلك هو أحد أشعارها إذ كتبته على أحد طرفي ثوبها:

أَنَا وَاللهِ أَصْلُـــحُ لِلْمَعَالِي وَأَمْشِي مَشيَتِي وَأَتِيهُ تَيْهاً

أُمَكِّنُ عَاشِقِي مِنْ لَثْمِ خَدِّي وَأُعْطِي قُبْلَتِي مَنْ يَشْتَهِيهَا

إن هذا التصريح مباشر وواضح على المجاهرة بالملذات ويعكس بالفعل شخصية ولادة المتحررة من جميع القيود أن هذا الكلام يبدو فاضحا ومكشوفا لا يعكس المستوى الإجتماعي لولادة على تراخي في ترتيبها وتنشئتها مما كون شخصية ولادة.[3]

مفهوم هذا كله يتجلى في أن ولادة كانت صاحبة صالون أدبي، وأنها كانت تستقبل أصنافا من الناس، فتحادث هذا وتمازح ذاك، وتقبل بالحب على واحد دون الآخر، فلم تكن متصاونة حسبما تحجب نساء الأشراف ولم تكن تتعفف في القول لميلها للدعابة، حتى وإن جاءت مكشوفة وفي ذلك تفصل الرواية القديمة بين القول والعمل فيما تسبه إليها.[4]

---

[1]– إحسان عباس، المرجع السابق، ص 132.

[2]– خالد الصوفي، المرجع السابق، ص 71.

[3]– أحمد المقري التلمساني، المصدر السابق، ص 206.

[4]– إحسان عباس، نفسه، ص 133.

ومنه فإن كتب الأدب والتاريخ تجمع على أن ولادة كانت شاعرة رقيقة بارعة، ناقدة قوية الشخصية إلى درجة مفرطة جعلتها ترفض الزواج لأنه يجعلها تفقد قدرا من قوة شخصيتها.[1]

1. مسيرتها العلمية :

أ- نوعية ثقافتها:

تمتعت المرأة في المجتمع الأندلسي عامة بنصيب وافر من الحرية، ونالت جانبا من التعليم، مما مكنها من رفض الحياة الثقافية في الأندلس بإسهامات جديدة سواء في المجالات الدينية أو التعليمية أو الأدبية.[2]

شاركت المرأة في نظم الشعر، فبنت شخصيتها الأدبية مستقلة وواضحة، ويمكننا القول أن هذه الظاهرة قد بدأت مع ظهور ملوك الطوائف فقد كانوا يعهدون بناتهم ونسائهم لمؤدبات يلتزمن بتهذيبهن وتعليمهن الأدب والشعر.[3]

وبما أن ولادة بنت المستكفي من نساء الخاصة فهي أميرة وبنت الخليفة -كما أسلفنا الذكر- وقد تميزت هؤلاء ووالدتها وإن كانت جارية قبلا فقد أضحت زوجة خليفة وقد تميزت هؤلاء النسوة بأنهن لسن مضطرات إلى القيام بأي عمل لا داخل البيت أو خارجه، ويعود ذلك على أنها كانت محفوفة بالخدم والحشم[4]

[1]- محمد حسن قحة، دراسات في التاريخ والأدب والفن الأندلسي، الدار السعودية للنشر والتوزيع،ط1، 1985م، ص 121.

[2]- فائزة حمزة عباس، المرجع السابق، ص 54.

[3]- محمد شهاب العاني، الشعر السياسي في عصر ملوك الطوائف، دار دجلة، ط1،عمان 2010، ص 76

[4]- ابن حزم، رسائل ابن حزم الأندلسي، المصدر السابق ،ص 71.

ويظهر أن أبو ولادة عني بها، فأظهروا لها المعلمين والمثاقفين، ولم تلبث مواهبها أن استيقظت ففتحت الزهرة التي تنبت في تلك الشجرة وفاحَ منها أريج الشعر والفن.[1]

وبناء على ما سبق فقد استأجرن الجواري ليعملن كمربيات أطفال لتثقيف الصغار.[2] كما استخدمت الحاضنة أو المربية التي كانت تحصل على أجرة معينة يتفق عليها نظير قيامها بهذا العمل.[3]

إن المكانة الإجتماعية لولادة بينت المستكفي ساهمت كثيرا في تسهيل مسيرتها العلمية كونها من نساء الخاصة اللواتي تمتعن بكثير من الامتيازات.

وقد ترك أبوها بعض الثروة التي جمعها أثناء خلافته فساعد ذلك أن تفتح في قصرها ندوة للعلماء والشعراء.[4]وظهر أن المجال الواسع الذي برزت فيه المرأة كاملة وخاصة في نظم الشعر وروايته.[5]

فارتفع بذلك صوت ولادة بنت المستكفي فعبرت عن مشاعرها بصراحة تامة، وعقدت المجالس مع شعراء عصرها، وبدأت تشارك الأدب الأندلسي بألوان شعرية طريفة، واستطاعت أن تقابل أن تتخطى الرجل في الحركة الشعرية.[6]

ويرجع الكثير من المؤرخين أن شيوع أخبارها كان راجع إلى ذاك المنتدى الأدبي الذي أقامته بقصرها وضم كذلك كبار رجال الدولة.[7]

---

[1]– محمد سعيد الدغيلي، المرجع السابق، ص 41.

2– أبي العباس أحمد بن يحي الونشريسي، المعيار المعرب والمجامع المغرب عن فتوى علماء افريقية والأندلس والمغرب،اش: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، ط1، الرباط، 1981م، ج3، ص 107.

[3]– خالد الصوفي، المرجع السابق، ص 70.

[4]– فائزة حمزة عباس، المرجع السابق، ص 176.

[5]– محمد سعيد محمد، دراسات في الأدب الأندلسي، دار الكتب الوطنية،ط1، ليبيا، 2001م، ص 49.

[6]– مصطفى الشكعة، الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، دار المسيرة للنشر والتوزيع،ط1،عمان، 1979م، ص 141.

[7]– عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين،د.ط، لبنان، د.ت، ج4، ص 14.

ب- منزلتها العلمية:

ولذلك اعتبرت ولادة بنت المستكفي أهم شاعرات قرطبة، بل هي شاعرة الأندلس وأعلاهن رتبة، وأسماهن في الأدب مقاما وملهمة كبار الشعراء، جريئة في نظم شعرها وكتاباتها تدل على عمق ثقافتها وتنشأتها العلمية.[1]

كانت في شرخ شبابها، وذروة في شهرتها وقد شهدت مصرع آبائها، وانهيار دولتهم وتربع ملوك الطوائف على أرائكهم، وكانت ولادة قد أخذت قسطا وافرا من التعليم من قبل وقيل أن أبيها، حيث أحضر لها والدها العلماء والمثقفين وحدب على تربيتها، لأنها تعتبر الإبنة الوحيدة له.[2]

ولعلنا لا نجيد عن جادة الصواب إذ قلنا أن مستواها الثقافي والأدبي كان سببا في شهرتها أكثر من نسبها الإجتماعي فقد كان غزلها الذي أحسنت اختيار ألفاظه ومعانيه، صورة لثقافتها وبلاغتها لا صورة للفحش والخلاعة.[3]

إن احتكاك المرأة الأندلسية عامة بالشعوب الأوروبية أثرت في المجتمع الغربي بالأندلس ببعض خصائصها عندما قويت الصلاة بهم، بحكم المعاصرة أو المجاورة أو الاختلاط، وبما أن ولادة قد نشأت على يد الجواري يحملن طباعا اجتماعية مختلفة كان لابد لها من كسب ثقافة جديدة.[4]

كما لابد من الإشارة من ورثتها بعض طباع أبيها والميالة للمرح والتحرر والجرأة مما انعكس على شخصيتها الأدبية كذلك، وكون شخصية متكاملة ومنسجمة تمام مع

1- مصطفى صادق الرفاعي، تاريخ الأدب العربي، مكتبة الإيمان ،ط1 ،القاهرة، 1986م، ص 202.

2- سعيد بوفلاقة، المرجع السابق، ص 13.

3- عبد الرحمن علي الحجي، التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، دار القلم،ط1، بيروت، 1981م، ص413.

4- ابن بسام ، المصدر السابق، ص282.

تنشئتها، فقد أشرنا سابقا أنها نشأت في محيط يتصف بالتاريخي بما يخص الالتزام بالعادات الإسلامية.

إن اهتمام ملوك الطوائف بالعلم وتشجيعهم للعلماء وتقريبهم حتى أن القصور الكثيرة منهم غدت منتديات أدبية وعلمية مع أن الأدب كان غالبا أكثر من سبب، وهذا ما ساعد ولادة بنت المستكفي في البروز أكثر على الساحة الأدبية الأندلسية وتتويج مسيرتها العلمية بإنشاء صالون أدبي ينافس منتديات الأمراء.[1]

يصفها ابن بسام قائلا: "وأما ذكاء خاطرها وحرارة نوادرها فآية من آيات خواطرها"[2]

وبرغم ذلك الكثير من الروايات مجاهرة ولادة بنت المستكفي بلذاتها في شعرها الغزلي إذ لم تغفل إطلاقا ذكائها وحضورها الفريد".

كما لا يمكن إهمال أن المرأة في هذا العصر قد رغبت في التعلم وطلب العلم وتولت الأسرة مهمة تعليم الفتيات بل في أن الجواري ينلن ذك العصر حظا من التعليم، إن هذه البيئة الثقافية حظيت والمحيط الأسري المتحرر لولادة جعل منها امرأة متعلمة مثقفة وسهل إلى حد بعيد مسيرتها العلمية.[3]

كما ذكرها أحد معاصرها من الأدباء عبد الله بن مكي فثنى على فضلها وسرعة بادرتها ونبهاتها وفصاحتها ، وجزالة منطقها، وكانت واسعة الثقافة عزيرة العلم بخاصة في فنون الشعر والأدب مما أتاح له مجالسة الأدباء ومطارحة الشعراء ومناظرة العلماء.[4]

---

[1]– ابن بشكوال أبو القاسم خلف الله، الصلة في تاريخ علماء الأندلس، المكتبة المصرية، د.ط، لبنان، 2003م، ص632.

[2]– ابن خاقان، المصدر السابق، ص 73.

[3]– ابن بسام الشنتريني، المصدر السابق، ص 282.

[4]– خالد الصوفي، المرجع السابق، ص 71.

من خلال هذا الوصف يتضح أن ولادة بنت المستكفي جمعت بين المكانة الإجتماعية الرفيعة والثقافة الواسعة والذكاء الحاذق، وبارعة في صنعة الشعر.

أما ابن خاقان فيقول عنها: "أنها بالغرب كحلية أخت الرشيد في الشرق، إلا أن هذه –أي ولادة– تزيد ... الحسن... أما الأدب والشعر والنادرة وخفة الروح فلم تكن تقصر عنها، وكان لها صنعة في الغناء... وكانت من الأدب والطرف وتمتع السمع والطرف بحيث تختلس القلوب والألباب، وتعيد الشيب إلى أخلاق الشباب".[1]

وبذلك فقد وصفت ولادة بنت المستكفي بالجمال والذكاء وسرعة البديهية وروح الفكاهة وقد أثنى ابن بسام والمقري على رفقتها وطيب سلوكها إلا أنهما أضفا أنها تتصف بالعصبية والتهور ويبدو أنها لم تحجم عنها هجاء من لا تحبهم وأولئك الذين جفتهم.[2]

وقد استحقت ولادة بنت المستكفي الكثير من الأدباء رغم أن ما وصلنا من شعرها ضئيل جدا إلا أنه يدل على طول... في هذه الضفة وهناك الكثير من الشهادات تصف مزاياها بما ذكرناه يعطينا فكرة عن مكانتها الإجتماعية والأدبية التي تتمتع بها في مجتمع قرطبة.[3]

وإن ولادة مثال على الشاعر الحر الذي لا علاقة لأدبه بالحكام فقد نشأ مستقلا "ولم يتصل ببلاط الملوك ولم ينشأ بحافز مادي أو تشجيع من ذوي السلطـات رغم اهتمامه بهذا المجال فقد حاولت ولادة بنت المستكفي أن تبق شخصية أدبية مستقلة.[4]

[1]– إحسان عباس، المرجع السابق، ص 62.

[2]– خالد الصوفي، المرجع السابق، ص 73.

[3]– سامي يوسف أبو زيد، الأدب الأندلسي، دار المسيرة للنشر والتوزيع،ط1،عمان، 2012م، ص 63.

[4]– مصطفى الشعكة، المرجع السابق، ص 142.

استطاعت ولادة أن تصبح حديث قرطبة بسبب إشهارها بأدبها واجتماعاتها وصوفها وصدق مشاعرها من خلال شعرها.[1]

استنادا لما سبق فإن شخصية ولادة بنت المستكفي التي ميزتها القوة والتحرر انعكست على أدبها بشكل كبير ومهدت لظهور شاعرة الأندلس الأولى.

3.وصف ابن زيدون لولادة ووفاتها

أ- ولادة من خلال غزل ابن زيدون:

لقد تعددت مزايا ولادة بنت المستكفي فبغض النظر عن كونها شاعرة كانت تحسن الضرب والإيقاع على الآلات الموسيقية، فكان ذلك يشع حولها السحر والفتنة، وهوى إليها أفئدة الشعراء من قرطبة وغير قرطبة، فلا تتصاباهم وتشعل في قلوبهم نار الهوى والهيام.[2]

ومن أهم من هام بولادة ابن زيدون ولكي نرسم صورة لولادة علينا أن نعود لشعر ابن زيدون الذي وصفها أدق وصفٍ، ولا يمكن في الحقيقة أن نفصل الحديث عن ولادة وابن زيدون فهما كل لا يتجزأ وشعر ابن زيدون اروعه وأعذبه ما قاله بها.[3]

إن الغزل يعد من أكثر فنون الشعر الأندلسي الذين شغفوا به الشعراء الأندلسيين ووجدوا فيه مجالا للإبداع وللغزل نوعان:

- الغزل المادي الحسـي
- الغزل المعنوي العفيف

[1]- ابن حزم، طوق الحمامة في الألفة والالاف، المصدر السابق ،ص 79.

[2]- شوقي ضيف، نوابع الفكر العربي ابن زيدون، دار المعارف،ط1،د.ت، ص 20.

[3]- محمد حسن حقة، المرجع السابق، ص 112.

لذلك يساعدنا شعر ابن زيدون ولادة بنت المستكفي على تقريب التعريف بهذه الشخصية، وقد تأثر الشعراء من جمال المرأة ورقتها وما جعلهم ينظمون شعرا ينافس فانعكست صورتها في أشعارهم، ووصفوها صفات مادية ومعنوية.[1]

لقد أشرنا سابقا أن ولادة بنت المستكفي قد نالت شهرة واسعة ويعود ذلك لسببين:

1.أنها كانت من بيت الخلافة وابنة خليفة وصاحبة منتدى يؤمه الأدباء وذات الجمال والفتنة فسحرت جمهرة الشعراء.

2. ارتباطها بابن زيدون شاعر قرطبة الذي منحته الكثير من الحب فقال فيها أجمل الغزل وأرقه.[2]

نشأة ابن زيدون: ينتسب أبو الوليد ابن زيدون إلى قبيلة مخزوم ولد في العاصمة قرطبة عام (344هـ / 1002م) .

كان ابن زيدون بطبيعة كونه من بيت علم وأدب أحد أولئك الميالين إلى الدراسة والتحصيل مند حداثته، فانكب على الدرس والبحث وأخذ الأدب عن رجاله المعروفين.[3]

نشأ ابن زيدون في بيئة مثقفة وكان أبوه من وجهاء قرطبة وأغنيائها وفقهائها، فأحضر له الأدباء والمربين، لكن والده مات عندما كان ابن زيدون في الحادية عشرة فاهتم به جده لأمه، تثقف ثقافة حسنة وتعلم الشعر باكرا.[4]

[1]– سهام عبد الوهاب الفريح، المرأة العربية والإبداع الشعري، دار جرير للنشر والتوزيع،ط1، عمان، 2010م، ص 183-184.

[2]– سعيد بوفلاقة، المرجع السابق، ص 191.

[3]– ابن زيدون، المصدر السابق، ص 14

[4]– عدنان محمد غزال، مصادر دراسة ابن زيدون، د.ط، الكويت، 2004م، ص 12.

وبذلك فقد نشأ الشاعر ابن زيدون في بيئة علمية مكتسبة من الأخذ من علوم العربية تمتعه بموهبة أدبية وبذكاء حاد، ولما تسلم ابن جهور الحكم استقدم الشاعر وأوكل إليه النظر في أهل الذمة وجعله سفيرا لدى بعض ملوك الطوائف.

ويقول فيه عبد الواحد المراكشي: "أبو الوليد ابن زيدون، ذو الأبوة بقرطبة والوسامة والراية وحلاوة المنظومة وقوة العارضة والإفتتان في المعرفة".[1]

ابن زيدون أعظم شاعر قديم محدث أنجبته الأندلس الغزلي ووقع في حب بعض الحسان. قبل أن يقع في حب من تسللته فؤاده في آخر حياته والصد ولادة بنت المستكفي.[2]

ويبدو أن زيدون أضفى على هذا الحب شيئا حين سحبه من مذكرات أو ترجمة ذاتية. أو رآه متلذذا بذكريات فقد قال ابن بسام راويا عنه: "قال أبو الوليد: "كنت في أيام الشباب وعمرة التصاب، هائما بحادة تدعي ولادة"[3]

فشخصية ولادة هي التي رسمت الطريق لغزل ابن زيدون وشدة غيرتها.[4]

بالفعل لقد ساهم شعر ابن زيدون الذي قاله في ولادة بنت المستكفي في رسم ملامح هذه الشخصية فقد كان ابن زيدون قبل كل شيء شاعر الحب ومحبوبته ولادة.[5]

---

[1]– المراكشي عبد الواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد سعيد العريان،المجلس للشؤون الإسلامية جمهوية العربية المتحدة،د.ط، د.ت، ص 105.

[2]– اميليو غرسية غومس، المرجع السابق، ص 48.

[3]– ابن بسام الشريني، المصدر السابق، ص 377

[4]–خالد الصوفي، المرجع السابق، ص 71.

[5]–إحسان عباس، المرجع السابق، ص 132.

بالفعل استطاعت ولادة بنت المستكفي أن تضاهي عددا من الشعراء لنبوغها في هذا الفن وكانت من المحسنات البارعات فيه وأضحى لها تلميذات فيه كمهجة القرطبة فبعدها كانت ولادة طالبة علم في هذا المجال أصبحت من رواده وأساتذته.[1]

إن كثرة عدد الشاعرات الأندلسيات يعطي صورة توحي بأن نصيب المرأة من العلم والمعرفة والتحرك كان من نصيب أختها في المشرق فقد كان بعض المتأدبات يترددن على منتديات الرجال الأدبية.[2]

إن هذه العوامل ساعدت ولادة بنت المستكفي على البروز أكثر في الميدان الشعري القرطبي، بل تعداه لأن تصبح رائدة هذا المجال بعد مسيرة تعلمية وتثقيفية حافلة.

ولعل أهم عامل ساعد في بروز ولادة هو اهتمام مجتمعها بالعلم والثقافة، فقد كانت تبعث المرأة إلى المدارس الأولية منذ الصغر فيقول ابن حزم في ذلك: "لابد أن يكن هن على مستوى كبير من العلم والثقافة اكتسبته منذ نعومة أظافرهن وبلغن فيه شأن بعيدا"

أخذ ابن زيدون يتردد على ندوة ولادة، فتوثقت بينهما عرى العلاقة وما لبثت تلك الصداقة أن تحولت إلى حب بلغت شهرته أرجاء الأندلس كلها.

تدل أوصاف ابن زيدون لها على أنها كانت بيضاء البشرة ذات شعر أشقر، شاعرة رقيقة وامرأة عتيدة يفوح منها أريج الشعر والفن.[3]

[1]– شوقي ضيف، المرجع السابق، ص 22.

[2]– هنري بيريس، المرجع السابق، ص 20.

[3]– شوقي ضيف، نفسه، ص 19.

إن اهم ما يورده ابن زيدون في وصف ولادة بنت المستكفي هي شخصيتها المتحررة وجرأتها، فقد دفع التحرر بها إلى أن تضرب موعدا لابن زيدون ويرجح أن هذا أول موعد بينهما إذا قالت:

تَرَقَّبْ إِنْ جَنَّ الظَّلَامُ زِيَارَتِي فَإِنِي رَأَيْتُ اللَّيْلَ أَكتَمَ للسِّرِ

تحدت ولادة الأعراف في ذلك لا مانع عندها أن تزور بيت حبيبها زيارة عاشقة لا زيارة شاعرة أدبية ولهذا اختارت الليل لحفظ سرها.[1]

ومن خلال هذا الوصف نجد أيضا تطابق بين لين زيدون وباقي الروايات التاريخية عنها فتحررها بلغ حدودا كبيرة فبالفعل جاهرت بلذاتها بألفاظ جريئة عكسها شعرها بطريقة مريحة.

من جهة أخرى يورد ابن زيدون وصف آخر لها يدل على تصاونها وعفتها كما يعكس عنادها وقوتها إذ يقول:

هِيَ المَاءُ يَأْبَى عَلَى قَابضٍ وَيَمْنَعُ زَبْدَتَهُ مِنْ مَخْضٍ[2]

[1]– المقري، المصدر السابق، ج4، ص 206.

[2]– ابن زيدون، المصدر السابق، ص 193.

كما يصفها بأنها كانت تحمل صفة الغيرة وذلك بسبب أن ابن زيدون سمع جارية ولادة تُقَى، ولما فرغت سألها عادة بغير أمر ولادة التي عاتبت جاريتها في ذلك يقول ابن زيدون.

وَمَا ضُرِّبَتْ عُتبى لِذَنْبٍ أَتَتْ بِهِ وَلَكِنَّ وِلَادَةً تَشْتَهِي ضَرْبِي
قَامَتْ تَجُرُ الذَّيْـــــلَ عَاثِرَةً بِهِ وَتَمْسَحُ الدَّمْعُ بالعنم الرَّطْبِ[1]

وتتابع اللقاء بينهما في حدائق قرطبة ذات الأشجار والأزهار المعطرة بالندى، وقضيا هناك أوقات طويلة يتعاطيان كؤوس الخمر، كما يتعاطيان الحب والصبابة، فكل منهما موله بصاحبه تغمره نشوة العشق.[2]

إن الشعر وثيقة تاريخية ففي أمجاد الممدوح وتخلد انتصاره، ولعل قصيدة واحدة من قصائد ابن زيدون وولادة بنت المستكفي تأكد تلزم الشعر مع التاريخ، وفي شعر ابن زيدون إشارات مهمة من خلالها يمكن رسم شخصية ولادة بنت المستكفي وبرغم ذلك تبقى الروايات التاريخية متضاربة ومتناقضة حول شخصيتها.[3]

ويدعم ابن بسام أن لها مع أبي الوليد ابن زيدون أخبار طوال وقصار يفوت إحصائها وشق استقصاؤها.[4] وهذا إتيان واضح على عمق وقوة العلاقة التي ربطت ابن زيدون بولادة، ويرجع المؤرخون أن ذلك كان سبب في عدم زواجها أبدا بعد افتراقها عنه.

ويعقد الباحثون مقارنات بين حبها وحب الآخرين فدُوزي يقارن حبهاّ إلى حب الشاعر اللاتيني نيبولس وصاحبته سيليا، ويقارن حبها إلى حب جورج صاند وألفرد دي

[1]– يوسف فرحات، المرجع السابق، ص 15
[2]– شوقي ضيف، المرجع السابق، ص 21.
[3]–خالد الصوفي، المرجع السابق، ص 16.
[4]– ابن بسام، المصدر السابق، ص 282.

موسيه، ووجه المقارنة الممكنة، وهو في مظاهر حياة الشاعرين إذ فقد كل منهما وطنه ولم يكن موفق في حبه.[1]

ظاهرة هامة تركت طابعها على شعر ابن زيدون في الغزل –وفي غير الغزل أيضا– حين أصبحت قصة الحب ما جرته من ذيول مهمة له وذلك هي إن القصيدة رسالة تكتب لا وصفا للمرأة وكلفاً بالمناجاة الذاتية فقط.[2]

قد تأثر الشعراء الأندلسيون من جمال المرأة ورقتها ما جعلهم ينافسون المشارقة، فانعكست صورتها في أشعارهم ويقول ابن زيدون واصف جمال ولادة.

لَحَى الله يَوْمًا لَسْتُ بِمُلْتَقِى مَحْيَّاك مِنْ أهْلِ النَّوَى وَالتَّفَرُّقِ
وَكَيْفَ يَطِيبُ الْعَيْشِ دُونَ مَسَرَّةٍ وَأَيِّ سُرُورٍ لِلْكَئِيبِ الْمُؤَرَّقِ.[3]

لقد وصف الشاعر الأندلسي محبوبته وصفا حسيا لا تحفّظ فيه ولا احتشام حتى بلغ بعضهم إلى حـد التهتك والمجون وانزلقوا إلى درجة كبيرة من اللهو، امتزج ابن زيدون حب ولادة بدمه وحل سويداء قلبه فقال:

زَارَ فِي بَعْدَ هَجْعَةٍ وَالثُّرَيَا رَاحَةِ تَقَدُّرِ الْغُلَامِ بَشيرَ
فَرَشَقَتِ الرُّضَابُ أَعَذْبَ رشيقَ وَهَمَرَتِ الْقَضْبُ أَلْطَفَ هَمَرَ
وَتَحْمِنَا بِلَفِّ الْحَسْمِ بِجِسْمٍ لِلتَّصَافِيِّ وَقَرْعِ ثَغْرٍ بِثَغْرٍ[4]

من خلال هذا الوصف تبين أن ولادة كانت على تحرر تام غير متهاونة وهذا الرأي يذهب إليه الكثير من المؤرخين ويؤكد بوصف ابن زيدون لها على أنه كان كذلك على درجة اللهو والإستهتار.

---

[1]– شوقي ضيف، المرجع السابق، ص 22.

[2]–إحسان عباس، المرجع السابق، ص 133.

[3]–رحمي عمران، المرجع السابق، ص 184.

[4]–احسان عباس، نفسه ،ص114

رغم قوة علاقتها إلا ولادة انصرفت عند عن ابن زيدون ولم تستمتع إلى مشاكله من آلام وبتاريخ عن حبه "وظل يذكرها ويعاتبها على ما كان من هجرها له في لهفة وحرقة وحنين، وعاتبها على غدرها وعدم وفائها.[1]

وبعد هذا الفراق هجاها يصفها بأنها نهاية العالم إذا يقول:

عَيَّرْتُمُونَا بِأَنَّ قَدْ صَارَ يَخْلُفُنَا فِي مْنِ نُحِبُ وَمَا فِي ذَاكَ مَنْ عَارٍ
أُكْلٌ شَهِيٌ أَصَبْنَا مِنْ أَطَايِّبِهِ بَعْضًا وَ بَعْضًا صَفَحْنَا عَنْهُ لِلْفَار.[2]

كان ابن زيدون أحد من جذبتهم ولادة إلى فلكها وكان لا يزال في متعة الشباب فلم تلبث أن وقعت في شراك حبه، وبادلته هيام بهيام.[3]

أصبحت صورة ابن زيدون وولادة طاغية على ما سواه من قصص الحب والغزل الأندلسي وسبب أنها قصة تمثل العلاقة الأرستقراطية بين اثنين من السادة أحدهما مخزومي النسب وصاحبته أموية من بيت الخلافة.[4]

وتعرف ابن زيدون عليها في حدث حين كان سنه يقارب الثلاثين وتعرفه عليها بعدا طبيعيا فهي اشتهرت بأدبها وظرفها وهو قد اشتهر بشعره وذكائه حتى صار كل منهما يتحرق شوقا للآخر.[5]

بالفعل قد أحب ابن زيدون ولادة ويصفها قائلا: "صاغها الله من فضة خالصة وتوج رأسها بشعر كالبتر اصفرارا، وهي بديعة مهوى القرط، ممشوقة اقوام، بارزة الخصر، رقيقة البشرة، فاتنة العينين"

---

[1]– شوقي ضيف، المرجع السابق، ص 22.

[2]–رحمي عمران، المرجع السابق، ص 180.

[3]–خالد الصوفي، المرجع السابق، ص 19.

[4]– المقري، المصدر السابق، ج4، ص 206.

5–احسان عباس.المرجـع السابق، ص 21.

في وصف ابن زيدون لولادة بنت المستكفي جرأة كبيرة لكن رغم ذلك فهو يتفق مع كثير من الروايات التاريخية الواردة السابقة في وصفها إذ تجمع عل أنها شاعرة قرطبة الحسناء.[1]

إن هذه الأوصاف الواردة لولادة عن طريق الشاعر ابن زيدون توضح مدى تناقض شخصيتها وقوتها في آن واحد، كانت امرأة استثناء بحق، وكان شاعرنا كبيرا في السن مريضا فاشتدت عليه وطأة الحمى سنة 463هـ /1070م، تاركا وراءه تراثا شعريا يخلد حبه لولادة.[2]

أما ولادة فقد طال عمرها حتى أربى على الثمانين وعلى الرغم عم أن ما وصلت من شعرها لم كافيا لإعطاء فكرة واضحة أكثر عن هذه الشاعرة إلا أنه خلد اسمها ورغم أن شاعرات الأندلس لم يتطرفن إلى كل الأغراض الشعرية كولادة أو بالأحرى لم يصلنا من شعرهن كل الموضوعات لنستطيع أن نلم بكافة جوانب حياتهن.[3]

مما سبق فولادة نفذ منها أبرز وجوه الأدب في قرطبة لمكانتها فهي أميرة وبنت خليفة، اشتهرت بحسنها وسحرها عمرت كثيرا وابتعدت عن الزواج ميزت شخصيتها الجرأة والمجون. وبذلك رسمت شخصية مختلفة يلفها الكثير من الجدل.

[1]– عدنان محمد غزال، المرجع السابق، ص 21.

[2]– ابن بسام، المصدر السابق، ص 283.

[3]– سعيد بوفلاقة، المرجع السابق، ص 191.

الفصل الثاني

تأثيرات ولادة بنت المستكفي

المبحث الأول : دور ولادة بنت المستكفي السياسي.

المبحث الثاني : تأثير ولادة على الأدب الأندلسي.

المبحث الثالث : إنعكاس شخصية ولادة على الحياة الإجتماعية.

1. دور وَلَّادة بنت المستكفي السياسي

قد وصلت المرأة في الأندلس على العموم إلى حال ترفع معها و تضع كما قال ابن زيدون في حديثه عن ولادة :

أَرَخَّصَتْنِي مِنْ بعدمَا أَغْلَيَتْنِي وَحَطَّتْنِي مِنْ بعدمَا أَعْلَيَتْنِي

وقد حق لولادة بنت المستكفي بأن تبلغ منه هذا المبلغ بحكم سلطتها من حسن وجاه.[1]

يظهر جليا من البيت الشعري لابن زيدون مدى التأثير الكبير لولادة عليه وهو الشاعر و الوزير حيث فرضت عليه شاعرتنا أن يكتب رسائل مرتبة الأفكار، متراوحة بين الاعتدال والثورة فتركت أثرا عميقا في حياة هذا الشاعر بل غيرت مجرى الأحداث بأكملها، ورغم إبداع هذا الشاعر في جميع الميادين الثقافية والسياسية إلا أن قصة حبه لولادة طغت على ما سبق.[2]

كان تأثير ولادة بنت المستكفي كبيرا فقد تنافس في التودد إليها الشعراء والأدباء وحتى رجال الدولة وكان من أبرز المتوددين إليها أبو عبد الله بن القلاس، لكن ابن زيدون زجره بقصيدة لاذعة جعلته ينسحب من الميدان.[3]

إن هذا التنافس على ولادة بنت المستكفي كونها شاعرة قرطبة الأولى وأميرة تحمل أمجاد بني أمية بالأندلس وصاحبة جمال يجمع بين الحلاوة وحسن المظهر كما أشرنا في الفصل الأول جعل منها أميرة أدبية لها تأثيرها ودورها السياسي.

وهكذا قد برزت المرأة في المجتمع الأندلسي أمام المسرح تارة ومن ورائه تارة أخرى، وقد ظهر دورها جليا حيث استأثرت النساء بشؤون التولية والعزل حتى كان من

1 محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 46.

2 ينظر إحسان عباس، المرجع السابق، ص134.

3– ابن زيدون ،ديوان ابن زيدون و رسائله، تح : علي عبد العظيم، نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع،د.ط د.ت،ص34.

حول كل امرأة من المشهورات حاشية تدبر المكائد وتستأثر بالوظائف والمنافع و كان لها في الحالين أثرها المشرق أو السالب.[1]

رغم بعض الصدام بين المرأة والرجل في الأندلس بعصر ملوك الطوائف إلا انه لم يمنع وجود صلة احترام وإجلال بينهما، لظهورها في ميدان الجد والعمل واشتراكهما في مجالس الأدب والسياسة، فكانت المرأة الأندلسية أرقى وأجمل منها في أوروبا.[2]

وبالعودة لعلاقة ولادة بنت المستكفي وابن زيدون لازال الغموض يدور حول موقف ولادة من ابن زيدون و من غيره من المحبين فإنها على جمالها ورقتها ظلت عانسا طوال الحياة مع كثرة الراغبين بها المتهافتين عليها، ثم وإنها لا تقيل على ابن زيدون ثم تصد عنه، ثم تعود إليه لتنصرف عنه انصرافا تاما.[3]

لكن رغم ذلك فقد اشتهر ابن زيدون بحبه لولادة تلك المرأة التي أسرت قلبه فكانت مصدر أفراحه وآلامه ولم يكن لولادة آثارا لهؤلاء الشعراء والكتاب المترددين إليها، إلا ابن زيدون فإنه وحده الذي قال فيها وأكثر القول.[4]

لا يمكن الحكم على ولادة بنت المستكفي بالخيانة فهذا غير منصف إطلاقا، وقد أشرنا سابقا أن طبيعة شخصيتها التي ميزتها جعلتها تبتعد عن الزواج.

أ. منزلة ابن زيدون عند الجهاورة:

انهارت الخلافة الأموية في قرطبة وانتهت صفحة الدولة الإسلامية المركزية في الأندلس، وتحولت غلى دويلات متناثرة ومستقلة وهكذا انتهت وحدة الدولة الإسلامية

1- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص50.

2- أحمد ضيف،المرجع السابق ، ص22.

3-إبن زيدون، المصدر السابق ،ص 38.

4- فوزي خضر، عناصر الإبداع الفني في شعر ابن زيدون، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود الإبداع الشعري د.ط، د.ت، ص17.

في الاندلس التي لمت شملها الدولة الأموية زهاء ثلاث مائة سنة وبذلك تراجعت مكانة قرطبة السياسية.[1]

ليس لدينا اخبار واضحة عن ابن زيدون عن الفتنة التي انتهت بسقوط الأمويين وقيام النظام الجمهوري في قرطبة و على رأسه أبو الحزم جهور، ويغلب الظن انه لم يقف مكتوف الايدي أمام الحوادث التي مرت بها بلدته، وفي شعره ما يدل على أنه كان في حاشية ابن حزم حين نهوضه للأمر و لكن لا ندري أكان موظفا كبيرا أم كان شاعرا يقلد صاحبه قصائده ودوره الثمينة.[2]

وكان من محاسن الدولة الجهورية أيضا أن وزيرها الكاتب والشاعر أبو الوليد ابن زيدون[3]، كما تجمع في البلاط الكثير من رجال القصر و كتابه،[4] وشعراءه حيث كانت عادة ملوك الطوائف تقريب الشعراء إليهم و اهتمامهم الكبير بالعلوم خاصة الأدب لكن ذلك لم يكن بدرجة كبيرة في حكومة ابن جهور في قرطبة إلا إذا استثنينا ابن زيدون.[5]

ومما سبق يبين أن مكانة ابن زيدون السياسية لا تقل أبدا عن مكانته في الأدب الأندلسي. استطاع أن يتبوأ أعلى المناصب في دولة بن جهور في قرطبة.

عاش ابن زيدون أول الأمر في قرطبة في كنف حكومة ابن جهور وكانت قرطبة مولده، وبكى بشعره على إطلالها وخرائب ومواضع أنسها التي عبثت بها يد الزمان، ثم انتجع بعد ذلك إشبيلية وعاش في رعاية بني عباد وكان ابن زيدون قبل كل

1- وديع أبو زيدون، تاريخ الاندلس من الفتح الإسلامي حتى سقوط الخلافة في قرطبة، مكتبة النرجس الاهلية للنشر والتوزيع،ط1 ،د.ت، ص60.

2- شوقي ضيف، المرجع السابق، بيروت، لبنان، ص18.

3- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص25.

4 - خالد الصوفي ،المرجع السابق،ص85.

5 - ينظر إحسان عباس، المرجع السابق، ص23.

شيء شاعر الحب،[1]إن حياة ابن زيدون الأولى لا تطوف بالعموم بحياة سياسية و إنما تطوف بمعبوده ولادة بنت الخليفة المستكفي.[2]

إن ابن زيدون كان يحيا حياة مضطربة تثير من حوله الشبهات بهيامه من ولادة و احدث هذا الهيام نوعا من الفضيحة الغرامية التي هزت منزلته لدى بني جهور و غيرت مساره السياسي تماما،[3] كانت مكانة ابن زيدون بالفعل تجلب له العداوات و اعلى منصب سياسيي وصل إليه هو منصب ذي الوزارتين و قد ظهر هذا اللقب في عصر ملوك الطوائف بعدما ضم منصب الحجابة للألقاب الخلافية، ومدلوله هو ان حامل هذا اللقب له منصبين بمعنى انه كلف بمهمتين في آن واحد أو انه كلف بمهمتين خلال فترات مختلفة في ظل حكام و ملوك مختلفين.[4]

وبذلك فقد حظي ابن زيدون بمكانة سياسية مهمة في عهد بني جهور لكن هذه المسيرة السياسية قد عرقلتها الكثير من العوامل ومن ابرزها هيامه بولادة بنت المستكفي، حيث لعبت شاعرتنا دورا حاسما في إنهاء مسيرته السياسية بقرطبة.

ب. تأثير توتر العلاقة بين ولادة و ابن زيدون سياسيا:

لقد كان تأثيرا الحريم في السياسية غير مستغرب، وأن لم يكن ظهورهن غلا من وراء حجاب، ونحن نعرف أثر التنافس في الحب على شاعرنا المسكين من دسائس وويلات، ولولا هذا الغرام ما ذهب ابن زيدون إلى إشبيلية ولا عرف رحاب المقتصد والمقتصد بعد ان كان سجنه في عهد ابن الحزم من موضع شبهة وغموض.[5]

---

1 – غراسية غومس ،المرجع السابق ،ص49

2 – شوقي ضيف، المرجع السابق، ص18.

3 محمد عبد الله عنان، نفسه، ص25.

4– أسامة عبد الحميد السمرائي، تاريخ الوزارة في الأندلس (138– 897هـ/755–1496م)، دار الكتب العلمية، د.ط، بيروت، لبنان، د.ت، ص44.

5 – محمد عبد الله عنان ، نفسه ، ص25.

لعب الحب دورا خطيرا في حياة الشاعر ،ولما كان الشاعر بولادة قد ألهمه أروع ما صاغها من الشعر فضلا على انه خلق له خصوما اقوياء شوهوا العلاقة بينه و بين أميره، وأفلحوا في دسائسهم حتى ألقى به الأمير في السجن.[1]

قد دخلت شخصية ابن عبدوس في صورة منافس لابن زيدون، وبذلك انصرفت ولادة عن ابن زيدون للصحب الثاني وظل هذا المحب يكفل لها العيش اللين بجوده بعد إذ تحيف الدهر المستطيل حالها وطال عمرها وعمر أبي عامر في أربيا الثمانين.[2]

لقد اغتنم الوزير ابن عبدوس الجفوة بين ابن زيدون وولادة بنت المستكفي وراح يتودد إليها، مما جعل الغيرة تدب إلى قلب الشاعر ابن زيدون إن تطور الاحداث في علاقة ابن زيدون وولادة بنت المستكفي انعكس سلبيا على مسيرة ابن زيدون السياسية خاصة بعد ظهور ابن عبدوس على ساحة الأحداث وبذلك زادت الأمور تعقيدا في هذه العلاقة المتوترة منذ بدايتها.

قد سبب حب ابن زيدون لولادة بنت المستكفي في الكثير من العداوات من جانب المنافسين له في ذلك الحب وقد كانوا كثرا ولعل أبرزهم الوزير ابن عبدوس كونه كان رجلا ثريا، يشغل منصب ساميا في دولة الجهاورة وحاول التقرب من ولادة فاصطدم ما بين زيدون الذي كان أوسع منه علما وذكاء وأخصب منه قريحة شعرية.[3]

على كل حال انصرفت ولادة من عاشقها الشاعر الناقد و لم تنتظر طويلا لتجد عاشقا جديدا، فقد كان العشاق كثر كما اسلفنا الذكر و لكنها هذه المرة اختارت لا شاعرا عاطفيا كبيرا بل وزيرا خطيرا هو أبو عامر ابن عبدوس.[4]

يروى ابن بسام حادثة التعارف بين ولادة بنت المستكفي والوزير ابن عبدوس قائلا: "مرت به وأمام داره جرأة حائمة يتولد من كثرة الأمطار و امتزجت بشيء مما هنالك من الأقذار وقد شمر أبو عامر كميه، ونظر في عطفه وحشر أعوانه فقالت:

1 – ابن زيدون ،المصدر السابق،ص29.

2 – إحسان عباس ،المرجع السابق ،ص 131،132 .

3 – خالد الصوفي، المرجع السابق، ص74.

4 – شوقي ضيف ،المرجع السابق،ص22.

أبا عامر أنت الخصيب وهذا مصدر .... فتدفق فكلاكما يجر فتركته لا يجر حرفا ولا يرد طرفا و سرعان ما تبعها وتبادل العشق والغرام".

غالى ابن عبدوس في التودد إلى ولادة إلى أن أرسل ابن زيدون له الرسالة. الهزلية، مزقه فيها كل ممزق وجعله مضغة في الأفواه وسخرية للأنظار وقد أحدثت هذه الرسالة أثرها فقد توقف أبن عبدوس على ملاحقة ولادة حتى حين ،وانصرف بجهده كله إلى تأليب الأمير ابن زيدون و أفلح في ذلك.[1]

وبالفعل كان هناك غموض حول موقف ولادة من ابن زيدون،[2] فلم تلبث أن تبدلت عليه، وأذاقه بعد نعيم قربها جحيم هجرها، فكان يلاطفها ويدللها ويتمنى منها نظرة ويزعم لها أنه حبها وأمير عشقها[3] .

وبالرغم جفاء ولادة إلا أن ابن زيدون مضى يشكو آلام الهجران ومرارة انصرافها عنه حيث يقول:

حَالَتْ لِفَقَدَكُمْ أيَّامُنَا فَغَدْتُ سُودًا وَكَانَتْ بِكُمِ بِيضَا لَيَالِيَنَا [4]

لم يكتف ابن زيدون بالتودد لولادة برسائل غزل وحب حاملة حنين لولادة بنت المستكفي وذلك دليل على شدة توتر العلاقة بينهما وأنها بلغت مرحلة صعبة فيها الرجوع إلى سابق عهدها.

1 – وديع أبو زيدون، المرجع السابق،ص35.

2 – ينظر خالد الصوفي ،المرجع السابق ،ص124 .

3 – شوقي ضيف، المرجع السابق، ص22.

4 –غراسية غومس، المرجع السابق،ص 49.

يقول ابن زيدون:

غَزَلٌ مِنْ عَهْدِ وِلَادَةِ سَرَابِ تَرَاءَى وَبِرِقٍّ وَ مَضَى
هِي الْمَاءُ يَأْبَى عَلَى قَابِضٍ وَ يَمْنُعُ زَبَدَتُهُ مِنْ مَخْضٍ.

وبعد ذلك يورد أبيات فيها هجاء لاذع لولادة بنت المستكفي بعد أن خاب ظنه في الحب.[1]

في الأبيات الشعرية السابقة دلالة على عدم تصاون ولادة وعلى تحررها الكبير بقوله هي الماء يأبى على قابض، كما أنهه تشهير واضح بشخصيتها لكن تبقى شاعرتنا صاحبة قوة شخصية جعلتها لا ترضخ لتوسلات ابن زيدون .

إن المتعمق في علاقة ابن زيدون بولادة لا يجد سببا وجيها في توترها واضطرابها لكن يذكر ابن بسام عندما أشار ابن بسام عندما أشار ابن زيدون إلى حقيقتها و هي جارية سوداء حسنة الصوت أن يقيد الفناء هذا ما أغضب ولادة وأثار غيرتها إذ ظنت أنه يغازلها.[2]

أما البعض فقد ذكر سببا أخر لهذه القطيعة و بها أن ولادة بنت المستكفي قد اشتهرت بقوة شخصيتها فهي الأميرة والأدبية قد غضبت بسبب نقد ابن زيدون لبيت شعري قالته فيه :

نَسَّى اللهُ أَرِضَا غَدَتْ لَكَ مُنْزَلَا بِكُلِّ سكوب هَاطِلَ الْوَيْلِ مُغْدِقً

وفي البيت الشعري تقديم الدعاء على المحبوب بدل من الدعاء له بحسب ناقديها.[3]

تعددت أسباب الهجر لكن الأمر وقع و لم يكن ابن زيدون لبقا في التعامل مع ولادة ،فلم تعدو معه إلى الرياض والأشجار والأنهار وقد اكتفت بأزهار الهجر السامة

1 – إحسان عباس ،المرجع السابق،ص131.

2 – ابن بسام ،المصدر السابق،ص114.

3 –ينظر المقري ،المصدر السابق ،ص 223.

و بكى الشاعر وأن لم ينفعه بكاؤه وأنينه،[1] أما ابن عبدوس فقد هجاه هجاءا شديدا إلى درجة أن ولادة زاد صدها عنه ،و اغتاظ ابن عبدوس من هذه الرسالة أيما غيض فسعى إلى الإيقاع به متفقا في ذلك مع بعض أعداء الشاعر و نجحوا في الزج به إلى السجن.[2]

إن المنافسة على قلب ولادة بنت المستكفي جعلت من ساسة الجهاورة يتصارعون لإيقاع ببعضهم، و كانت ولادة هي المحرك للأحداث و تعدى تأثيرها من عزل ابن زيدون عن الوزارة إلى نفيه خارج قرطبة.

ج- أسباب الجفاء بين أبن الحزم و إبن زيدون :

لقد اختلف الأدباء و المؤرخون في تعليل ذلك ،فذكر بعضهم أن من جلة العوامل حب ابن زيدون لولادة ،فقد كانت هذه الأخيرة ابنة أحد الخلفاء الأمويين، وكان الجهاورة قد أسقطوا الخلافة الأموية وهم لا زالوا يبحثون من قيام أحد أولئك الأمويين لذلك لم يكن ابن جهور ينظر بعين الارتياح إلى علاقة ابن زيدون ووزيرة الأول بولادة بنت المستكفي.[3]

كما إن ابن عبدوس نجح في إيقاع بين بني جهور وابن زيدون من جهة أخرى كما أن تصرف ابن زيدون بإرساله الرسالة الهزلية على لسان ولادة بنت المستكفي إلى ابن عبدوس فن أجج الوضع وجعل ابن زيدون في موقف صعب سياسيا.[4]

وقال ابن زيدون على لسان ولادة بنت المستكفي: "وكم من يتعمدني بالقوة الظاهرة والشهوة الوافرة، والنفس المصروفة إلي واللذة الموقوفة علي وبين أخر نضب غديره. "هذا الكلام أغضب ولادة معتبرة إياه اتهاما بتفضيلها الشاب ابن زيدون على الشيخ ابن عبدوس فاختارت ابن عبدوس حكاية به ودفعا للتهمة،[5] لقد تهكم ابن زيدون

1-. شوقي ضيف، المرجع السابق،ص22.

2 – خالد الصوفي، المرجع السابق،ص74.

3 – خالد الصوفي، نفسه، ص35.

4 – ينظر ابن زيدون، المصدر السابق، ص132.

5 – إحسان عباس، المرجع السابق، ص 132.

بابن عبدوس في هذا النص السابق من الرسالة الهزلية، فاشتد العداء بين الرجلين واستطاع ابن عبدوس مع أعوانه أن يوقع بين ابن زيدون و ابن جهور الذي اهتم الشاعر باختلاس رجل ذهبي.[1]

كان معروفا عن ابن زيدون أنه دائم التردد على مجلس ولادة بنت المستكفي ولذلك زعموا أن غشيانه مجالس ولادة غشيان رهيب قد يخفي خلفه مؤامرات سياسية مع أقربائها المخلوعين فاستجاب الامير لهذه الدسائس،[2] وبذلك توترت العلاقة بين ابن زيدون وابن جهور مما خلف قطيعة سياسية انتهت بعزل الوزير ابن زيدون من منصبه وبالفعل إن حب الشاعر لولادة كان من أسباب إنهاء مسيرة ابن زيدون السياسية في قرطبة، إن الفضيحة الغرامية التي تعرض لها ابن زيدون في أعقاب دخول ابن عبدوس كمنافس في حب ولادة قد أشعلت المنافسة السياسية بين الوزيرين، لأن خصوم ابن زيدون في الحكومة والمجتمع استطاعوا أن يصوروه لدى ابن جهور رجلا ناقص الولاء وعلى أي حال فقد سخط الوزير أبو الوليد على وزيره الشاعر وألقاه في السجن،[3] مما زاد الطين بلة وتسبب في توتر العلاقة أكثر بين ابن عبدوس ومنافسه ابن زيدون هو غلو ابن عبدوس في التودد لولادة بنت المستكفي، التي لم تمره في بادئ الأمر شأنا كبيرا، فلم يترك هذا الأخير وسيلة إلا واستعملها لإرضائها أي أنه أرسل إليها في أحد الأيام مخيلة لم تمدحه أمامها وتقنعها بالتحول إليه عن ابن زيدون.[4]

د- القطيعة بين ولادة وابن زيدون ونفيه خارج قرطبة :

نفرت ولادة بنت المستكفي من ابن زيدون في أعقاب تلك الرسالة الهزلية التي كتبها ابن زيدون لابن عبدوس على لسانها ونظمت هجاءا لاذعا لابن عبدوس وقد أفحش جدا في نقده واتهم في معرض التهكم بابن عبدوس وولادة بنت المستكفي على

1 – يوسف فرحات، المرجع السابق، ص15.

2 – ابن زيدون، المصدر السابق، ص40.

3 – محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص25.

4- خالد الصوفي، المرجع السابق، ص74.

أنها تفضل الشاب على الشيخ وكان هذا سيارا رئيسيا في القطيعة بين ولادة وابن زيدون.[1]

واستمر ابن زيدون ينذر ويتوعد، يحذر ويعاتب ويلين ويعنف لكن ابن عبدوس لم يستمع إلى تحذيره وعتابه واشتهر يتودد غلى ولادة بنت المستكفي ،كما إن هذه الأخيرة لم تستمع إلى ماشكاه من آلامه و بتاريخ حبه مما جعل ابن عبدوس في موقف ممتاز ومناسب للقضاء على خصمه والهيمنة على ولادة بنت المستكفي ومنصب ابن زيدون السياسي،[2] وفي سعي ابن عبدوس للإطاحة بخصمه ابن زيدون أخذت التهم تكال له وأخرطها تهمة التآمر على سلامة الدولة، ولكن لم يكن من الممكن زجه في السجن دون إثبات الدليل على خيانته وذلك الدليل لم يكن متوفرا، فاختلق أعدائه حينذاك سببا مباشرا اتهموه به وأرسلوه إلى السجن بسببه.[3]

بالفعل فقد كانت القطيعة الغرامية بين ولادة بنت المستكفي والوزير ابن زيدون سببا رئيسيا ومباشرا في القضاء على مسيرته السياسية بقرطبة بفضيحة غرامية، وبذلك استطاعت ولادة بنت المستكفي أن تثبت قوة شخصيتها المؤثرة في سير الأحداث أدبيا و سياسيا.

كما أشرنا سابقا فقد كان ابن عبدوس مصرا على القضاء على ابن زيدون وإخراجه نهائيا من بلاط بني جهور بأي وسيلة ممكنة، فلم يلبث ابن عبدوس وبعض خصومه أن نسبوا إليه أنه يشترك في مؤامرة على السلطان، وتصادف أن أتهم بالاستيلاء على عقار لبعض مواليه بعد وفاته، فوضعت في يده الأغلال وقد قدم للمحاكمة.[4]

ذكر ابن زيدون في رسائله السبب المباشر وراء سجنه فحدثنا أن أحد خصومه اتهمه بأنه اغتصب عقارا لأحد مواليه بعد وفاته واحضر شاهدا شهد لدى القاضي

1 – إحسان عباس، المرجع السابق، ص133.

2 – شوقي ضيف، المرجع السابق، ص23.

3 – خالد الصوفي، المرجع السابق، ص 75.

4 – شوقي ضيف، نفسه ، ص24.

بصحة ذلك الادعاء، فما كان القاضي يسمع التهمة ويصغي إلى الشاهد حتى أصدر أوامره بسجن الشاعر وبهذا نال رضى الأمير ووفق هوى الخصوم.[1]

مما سبق يتضح أن خصوم ابن زيدون استطاعوا النيل منه و تدبير مكيدة جعلت ابن جهور يسخط عليه لدرجة إلقائه في السجن، إن هذه الحياة المضطربة التي كان يعيشها ابن زيدون كانت من العوامل المساعدة على القضاء عليه، فهيامه بولادة بنت المستكفي سبب له متاعب كبيرة خاصة في أعقاب الغيرة مع ابن عبدوس التي جعلت من تصرفات ابن زيدون غير متوافقة إطلاقا مع مركزه السياسي والأدبي.[2]

إن تشهيره بابن عبدوس في معرض التهكم عبيه وتوعده له جعل من ابن زيدون هو السبب الرئيسي في إشعال هذه المنافسة لكن تبقى ولادة بنت المستكفي المحرك الأساسي للأحداث فبرضاها عن طرف دون الآخر يعجل من انتصاره ويحسم اللعبة.

كان القاضي الذي تولى محاكمة ابن زيدون هو محمد عبد الله بن أحمد المعروف بابن المكوى الذي ولى قرطبة في محرم من سنة اثنين وثلاثون وأربعمائة وكانت بينه وبين الشاعر وجدة قديمة، ويقول ابن سعيد أنه استخف بالكثير من وجوه الناس فلما عرضت عليه قضيته أمر توا بسجنه وشدد فيه.[3]

إن جميع الروايات التاريخية إن المؤامرة على ابن زيدون كانت مدبرة جيدا، كما أنه يبدوا أن خصوم ابن زيدون في الحكومة والمجتمع كانوا كثيرين وهذا راجع في الأساس إلى مكانته المرموقة لدى بني جهور، وبذلك استطاعوا الإطاحة به وأنفق ابن زيدون في ظلمات السجن عاما أو بعض العام.[4]

كانت من نتائج محاولات ابن عبدوس لإرضاء ولادة بنت المستكفي الأميرة الشاعرة والمرأة القوية للفوز بقلبها هي سجن ابن زيدون الذي تجرأ على هجائه واتهمها

---

1 – ابن بسام، المصدر السابق، ص377.

2 – محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص25.

3– ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، ط 2، مصر،1964م، ص160.

4– محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص25.

بقلة الوفاء فكانت بالفعل هي التي تحرك خيوط الحادثة وأن وراء حجاب، ومن أبرز الأبيات التي هجى فيها ابن زيدون حبيبته ولادة بنت المستكفي قوله:

هِيَ الْمَاءُ يَأْبَى عَلَى قَابِضٍ وَ يَمْنُعُ زَبَدَتُهُ مِنْ مَخْضٍ.[1]

وفيها تحذير لابن عبدوس من قوة ولادة و تحررها الشديد و أنها لا تخضع لأي قيد و لا تلتزم بأي علاقة مع المحبين، و بذلك يتضح ان ابن زيدون لم يترك أي وسيلة لتخريب علاقة ولادة بابن عبدوس لكن محاولته بائت بالفشل.

وخلال فترة سجن ابن زيدون كتب قصائد بديعة شد فيها أبا الحزم جهور أن يعفوا عنه، وأن يرعى حرمته منه وإن لا يستمع إلى ما قاله الوشاة:

أَئِنَّ زَعْمَ الْوَاشُونَ مَا لَيْسَ مُزْعَمَا تُعْذِّرُ مِنْ نَصْرِيٍّ وَتَعَذُّرٌ فِي خَذِّلِي.

كما تحول إلى أبي الوليد بن أبي حزم،[2] يمدحه ويخذه وسيلة لعله يعفوا أو يصفح عنه، ولكن ذنبه كان عظيما فلم تنفتح مغاليق سمع أبي حزم لتوسلاته.[3]

يتبين لنا من خلال ذلك أن ابن جهور كان مصمما على إبقائه في السجن أما موقف ولادة منه لازال غامضا فهي التزمت الصمت وكان السجين لا يهمها أمره وهذا دليل على غضبها الشديد منه خاصة بسبب موقفها من جاريتها التي طلبها ابن زيدون التي طلها بإعادة الغناء مما أشعل نار الغيرة في قلب ولادة.

إن هذه الغيرة التي جعلت ولادة بنت المستكفي ترجح كفة ابن عبدوس على ابن زيدون إضافة إلى دفعة تهمة على أنها إمرأة –كأي امرأة– تفضل الشاب على الشيخ،[4]

1 – احسان عباس، المرجع السابق، ص131.

2 – ولد محمد بن جهور بن عبد الله الملقب بأبي الوليد في قرطبة، في شهر ذي القعدة من عام (391هـ /1000م) وكان منذ حداثة سنه. ميالا للعلم و الدراسة و الاطلاع خاصة وان كل الأسباب كانت مهيأة لذلك، كانت أخلاقه سمحة، تولى الحكم بعد موت أبيه، أنظر ابن بشكوال كتاب الصلة، المجلد الثاني، ص489.

3– شوقي ضيف، المرجع السابق،ص24.

4– إحسان عباس، المرجع السابق، ص133.

أن هذا يبدوا تطاولا على ولادة بنت المستكفي من قبل ابن زيدون بتجرئه على قول كلام بذيء على لسانها وهي الاميرة و الشاعرة كما قام بإنذار ابن عبدوس بقوله:

حَذَارِ حَذَارِ فَإِنَّ الْكَرِيمَ غَذَا سَمَّ خَسْفًا فَأَبَى فَامْتَعَضَ
فَإِنَّ سُكُوتَ الشِّجَاعِ أَلِنَهْوٍ س لَيْسَ بِمَانِعِهِ أَنَّ يَعَضَّ.[1]

لم يرد ابن عبدوس على هذه الابيات لأنه ليس بمكانة ابن زيدون الأدبية لكنه نجح في الإيقاع به في تدبير المكائد له، ولما سدت أمامه جميع الأبواب صمم على الهرب من هذا الشقاء ففر من سجنه ليلة عيد الأضحى، وظل في ضواحي قرطبة يضرع إلى أبي حزم ان يغفر له ما قدم مستعينا ببعض أصدقائه، وأخيرا عفى عنه ابو الحزم وربما كان لابنه أبو الوليد الفضل الأول في ذلك، إذ كان ابن زيدون صديقه و كان قريبا من نفسه.[2]

إذا قضى أبن زيدون بعد هربه فترة من الزمن شريدا في أحوال قرطبة مؤملا ان يستطيع رؤية ولادة التي كانت قد صدت عنه ولازالت من قبل أن يدخل السجن حتى وفي أعقاب فراره منه، ولكنه لم ييأس من رجوعها إليه، وأرسل إليها من مخبأه قصيدته النونية المشهرة يتشوق فيها إليها و يدعوها إلى اللحاق به.[3]

بالفعل لعب الحب دورا خطيرا في حياة ابن زيدون و كلفه الأمر أن يكون سجينا فارا خائنا بنظر بني جهور إلا أنه رغم ذلك بقي على عهده يتوسل ولادة بنت المستكفي الرجوع له والإعراض عن غيره، إن هذه المرأة جمعت بين الشخصية المتساهلة في الاستجابة لأحاديث الحب والهيام و الشخصية العنيدة القوية مما كلف ابن زيدون فقدان منصبه الوزاري.[4]

---

1 – شوقي ضيف، المرجع السابق، ص23

2– خالد الصوفي، المرجع السابق ، ص78.

3–شوقي ضيف، نفسه، ص24.

4– انظر ابن زيدون، المصدر السابق ، ص 29.

وتعد قصيدة أضحى الثنائي لأبي الوليد أحمد بن زيدون من أشهر البكائيات في الشعر العربي كله في مجال الغزل، بل إننا نستطيع القول أن هذه القصيدة الغزلية بوأت لأبن زيدون زعامة فن الغزل في عهده و نظمها باكيا عهد الهوى بعد أن انقطعت ولادة حبل وصاله، إن هذه المرأة بالفعل أسرت قلبه و كانت مصدرا لكل ما حدث له.[1]

و من خير الأمثلة التي تصور قروحه و جروحه النفسية قصيدته التي يقول فيها:

بُنْتُم وَ بِنَا فَمَا اِبْتَلَتْ جَوَانِحُنَا شَوْقًا إِلَيْكُمْ وَ مَا جَفَّتْ مآقينا

فمن خلال هذه الأبيات يفصح عن لهفته وحنينه ويصور لنا شجاه الكبير لولادة بنت المستكفي.[2]

إن هذه الأمور التي استبدت استبدادا مطلقا بابن زيدون فملكت عقله وقلبه ونفسه السياسية وشهوته الجبارة للسلطة وحبه العنيف لولادة وشعره ونثره اللذان وقفهما على الامرين السابقين وحظيت تجربة الحب الأرستقراطية بمكانة جليلة في الوجدان، حتى أوشكت تستسغ في نونيته المعالم حياته الاخرى.[3]

وقد أبدع في وصف آلام الهجران و مرارة انصراف ولادة عنه في نونيته الشهيرة إذ يقول:

حَالَتْ لِفَقْدِكُمْ أَيَامُنَا فَغَدَتْ سُودًا، وَ كَانَتْ بِكُمْ بِيضًا لَيَالِينَا .[4]

وبينما هو في أحواز قرطبة يبكي ألام الهجران وبُعد ولادة بنت المستكفي وصدها عنه، استغاث بأبي الوليد في حياة والده أبي الحزم فشفع له وأقامه على عرشه وعهد إليه بنظر في أهلي الذمة لبعض الامور العارضة، ثم رفع مكانته وعهد إليه

1 – فوزي خضر، المرجع السابق، ص 22

2 – شوقي ضيف ،المرجع السابق، ص 24.

3 – وهب رومية، شعر ابن زيدون، قراءة جديدة، (391،463هـ)، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة،ط1، دمشق ،2014 م، ص118.

4– غراسية غومس، المرجع السابق،ص49.

بالسفارة بينه وبين رؤساء الأندلس فلمع منصبه،[1]لقد تسارعت الأحداث وعادت حياة ابن زيدون تستقر نسبيا بعودته لبلاط ابن جهور لكن علاقته بولادة لم تراوح مكانها لكن رغم ذلك لأصر ابن زيدون على مواصلة توسلاته لها.

لم تحب ولادة ابن زيدون إلى مطالب خاصة في قصيدته النونية ولم تشأ العودة إلى سابق علاقتهما معه لأنها رأته مضطربا في حياته غير مستقر هذا ما عدا أنه شهر بها في شعره كما ذكرنا سابقا و لم ينجح في استمالتها إليه ثانية.[2] لم تنسه الرحلات و السفارات في منصبه الجديد حبه ولا شغله عن هواه فهو دائم الحنين والتلهف ولم يستطع نسيان ولادة و ما تلبث العلاقة بينه وبين أبي الوليد و سرعان ما رحل إلى المعتمد بن عباد [3]صاحب اشبيلية بسبب اتهامه أنه من جماعة خططت الى الثورة بقرطبة فجفاه أبو الوليد وأحاطت به بعض الشبه لذلك فكر بالرحيل.[4]

كان من أثر التنافس على قلب ولادة بنت المستكفي بين ابن زيدون وغريمه ابن عبدوس هي دسائس والمؤامرات فلولا هذا الغرام ما ذهب ابن زيدون إلى اشبيلية ولا عرف رحاب المعتمد، بعد أن كان سجنه في عهد أبي حزم موضع شبهة وغموض، بذلك يتضح جليا أثر ولادة بنت المستكفي على الحياة السياسية لابن زيدون.[5]

كما ان نفسية ابن زيدون لم تكن بعيدة عن نفسية اغلب الوزراء في بلاطات دول الطوائف، وهي نفسية لا ترى مانعا من الدس والإيقاع لمن يقف أمام اطماعها، وقالوا فيه كان سامحه الله لا يزني خيره ولا يؤمن شره لقد ظل طوال حياته يبحث عن منصب يتبوئه ويلتقي به .[6]

1- محمد عبد الله عنان ، المرجع السابق،ص25.

2 -خالد الصوفي، المرجع السابق،ص78 .

3- ولد أبو القاسم محمد المعتمد (سنة 43هـ) بمدينة باجة بإحدى مدن الغرب الأندلسي، وقد عرف منذ صغره بحب الأدب والشعر وكان له من الحكم 23 سنة (من 446هـ/ 484هـ) لم تعد له فيها حسنة ولا سيرة مستحسنة، أنظر ابن الأبار، الحلة السيراء، تح حسين مؤنس، مكتبة نشر الثقافة الإسلامية، د.ط، مصر، د.ت، ص63 .

4- محمد سعيد الدغيلي، المرجع السابق، ص28.

5- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق ،ص46.

6- وهب رومية، المرجع السابق، ص 09.

لقد ساهمت طبيعة شخصية ابن زيدون في ابتعاد ولادة بنت المستكفي عليه إضافة حياته المضطربة سياسيا.

لم يغفل ابن زيدون في هذه الحقبة الأخيرة من حياته عن ذكر مشوقته القديمة بل كان دائم التودد لها، فروحها هي التي كان يناجيها في مطالع قصائده وكان يخصها في الكثير من المقطوعات، فاسمها دائما على لسانه، لاكما كان وفيا لعدها، بارا بحبها، حتى قرع القضاء بابه ولفظ أنفاسه.[1]

ويتضح لنا من خلال ما سبق أن سجن ابن زيدون كان أثرا من أثار انصراف ولادة عنه لابن عبدوس، إن هذا الحب التهب بعد وفاة المستكفي (416/414هـ) ففتاته لم تفتح أبوابها للشعراء و الأدباء إلا بعد زوال دولتها، فحبه تأخر إلا أن هدأت الأوضاع السياسية في قرطبة.[2]

إن هذا الحب كلف ابن زيدون متاعب نفسية فالعاشقة قد طارت عن عش غرامها إلى الأبد، و لعل ذلك ما جعل أبو الوليد يعفوا عن شاعرنا فعينه سفيرا لكن ذلك لم يمنع حنينه لولادة، بالفعل كان تأثيرها عليه كبيرا إضافة إلى طبيعة شخصيته التي رفضت الاستسلام لواقع فرضته بنت المستكفي مما كلفه إنهاء مهامه الوزارية في قرطبة و الرحيل إلى إشبيلية.

2. تأثير ولادة على الأدب الأندلسي:

ا.إسهام مجلسها الأدبي في الحياة الثقافية في قرطبة :

يتميز المجتمع الأندلسي عن غيره عن المجتمعات بأنه مجتمع يكاد أن يكون كله من الشعراء، وكان الحس الشعري سمة مشتركة بين أفراده، وقد استطاعت المرأة الأندلسية أن تحضى بمكانة رفيعة في هذا النشاط العلمي والأدبي، وهذا ما جعلها تفرض وجودها في موكب الشعر النسوي، حتى تفوقت على مثيلاتها من نساء المشرق.

1 – محمد سعيد الدغيلي، المرجع السابق،ص28.

2– شوقي ضيف، المرجع السابق، ص 32.

ولا شك أن أولى شاعرات هذا العصر "ولادة بنت المستكفي"الأميرة الأموية بل هي أبرز وجوه الأدب والشعر النسوي في الأندلس قاطبة زمانا و مكانا.[1] لتميزها بالجرأة الأدبية و البلاغة اللغوية فكانت بالإضافة غلى الحياة الثقافية بقرطبة خاصة مجلسها العلمي الذي كان استثناءا في دولة الجهاورة بحكم أن هذه الأخيرة لم تبدي اهتماما كبيرا بهذه المجالس بالمقارنة بنظيراتها من ملوك الطوائف، خاصة منها إشبيلية.[2]

بالفعل كان مجلسها بقرطبة منتدى للأحرار يجتمعون فيه و فاؤها ملعبا لجياد النظم والنثر وبذلك سطع نجمها في قرطبة، فحلاوة شعرها وشخصيتها المتساهلة ساهمت في جذب الشعراء.[3]

لقد أشرنا سابقا إلى مزايا شخصية ولادة الأدبية فقد كانت جزلة القول جريئة وذلك بسبب نوعية التربية والتعليم اللذين تلقتهما، ومن منطلق تلك الحرية التي تمتعت بها فقد أضفت على الشعر الاندلسي صبغة جديدة تضاهي نظيراتها في المشرق بل تتفوق عليهن.[4]

بالرغم انه لم يبقى الأدب منحصرا بقرطبة، التي كان يؤمها العديد من الأدباء حتى أصبح اسمها مرتبطا ارتباطا وثيقا به، وهذا ما أكده لنا احد المؤرخين حين قال: "... وحضرت قرطبة كانت منتهى الغاية ومركز الراية ومن أفقها طلعت نجوم الأرض وأعلام العصر، وفرسان النظم والنثر، لكن ظهرت مدن أخرى نافستها كإشبيلية،[5] إن هذا التراجع الملحوظ لريادة قرطبة ثقافيا لم يمنع من ظهور اجتهادات فردية للعودة بالحاضرة الأندلسية إلى سابق عهدها ،إن سيادة ولادة لمجال الشعر بقرطبة أضفى

1- محمد حسن القحة، المرجع السابق، ص243.

2- ينظر إحسان عباس، المرجع السابق ، ص49.

3- ينظر إبن بسام، المصدر السابق، ص235.

4 -خير الدين الزركلي، المصدر السابق، ص118.

5-امحمد بو شريط ، ظاهرة البيوتات الأندلسية و دورها الثقافي،300هـ، 460 هـ/912، 1067م ،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة وهران،2012/2011م ،ص178.

على الحياة الثقافية نوعا من التنوع و استطاع مجلسها الأدبي أن ينافس مجالس إشبيلية.

قد شهد الأدب في هذا العصر تطورا واسعا من نواحيه المختلفة حتى ليصح القول بأن صور الأدب الأندلسي في عهد الطوائف قد اكتملت وبلغت مرحلة من التطور، فتكاثرت المراكز الأدبية وأصبحت المنافسة أشد و أقوى، وقد نفينا من قبل أن تكون الجودة وليدة التشجيع الرسمي وحده، فبعد أن فقدت قرطبة مركزها كان لابد من بروز مجموعة من الشعراء لإبراز المعالم الجديدة لها،[1] بالفعل لم تحض ولادة بنت المستكفي بأي دعم رسمي من حكومة بني جهور[2]، وعلى الرغم من ذلك فإنها استطاعت بخلفية نسبها كونها أميرة أن تفرض منطق شعرها بعيدا عن مدح حكام قرطبة كما فعل العديد من الشعراء المعاصرين لها.

لقد اعتبرت البيوتات العلمية منذ فتح الأندلس بحق ظاهرة ميزت تاريخه الثقافي، إذ استطاعت أن تفرض نفسها على الساحة الأندلسية، فلم تترك أي ميدان إلا وخاضت فيه وكانت لها فيه مشاركة فاعلة، وتعددت هذه البيوتات في مختلف العلوم.[3]

إن مجلس ولادة بنت المستكفي يعد بحق ندوة لإثراء الشعر والرقي به، فقد ضم العديد من الشعراء والعظماء والشعراء فيه، وعد نبرا شعريا يضاهي مجالس إشبيلية وغيرها من مجالس ملوك الطوائف لذلك استحقت ولادة ثناء الكثير من الأدباء،[4] لقد كان لولادة بنت المستكفي صالون أدبي فهي الأدبية والشاعرة أضف إلى ذلك أميرة مما مكنها من افتتاح هذا الصالون واستقبلت فيه أصناف مختلفة من الناس ولقد أشتهر

---

[1] -إحسان عباس، المرجع السابق،ص86.

2 إن دولة بني جهور حرضت على إتباع سياسة الملاينة و الملاطفة لأنها كانت تحكم عدد من العناصر اللذين احتدم الصراع بينهم كما ان أبو الحزم كان يمنع شرب الخمور لذلك لا نرى أي تشجيع منه لمجلس ولادة ،ينظر خالد الصوفي المرجع السابق، ص16–17.

[3] -امحمد أبو الشريط ،المرجع السابق،ص02.

[4] - ينظر خالد الصوفي، نفسه، ص71.-

عنها أنها كانت تتمتع بروح الدعابة فاستقطبت رجال العلم والادب، كما أن تحرر شخصيتها أسهم هو الآخر على شهرة هذا الصالون الأدبي.[1]

بالفعل قد ابتعدت ولادة بنت المستكفي عن القيود الدينية ولاسيما تحريم الخمر الذي كان حسب الكثير من المؤرخين منتشرا في مجلسها الذي افتحته بعد وفاة والدها مباشرة وان غاب منجد بني أمية سياسيا فانه ثقافيا مازال حاضرا وتجسيد ذلك مجلس ولادة الذي طغى على الساحة الثقافية القرطبية في غياب تام لمجلس بني جهور.[2] إننا لا نحيد عن جادة الصواب إذ قلنا أن مستوى ولادة بنت المستكفي الثقافي والأدبي كان سببا في شهرتها أكثر من نسبها الاجتماعي.[3] لأن هذا الأخير وضع شاعرتنا في موقف سياسي صعب مع حكومة بني جهور –سنتطرق إليه في المبحث الموالي– هدد استمرارية صالونها الأدبي لكن كتب التاريخ لكن كتب التاريخ حفظت اسمها لطول باعها في هذه الصنعة رغم أن ما وصلنا من شعرها ندر ضئيل.[4]

إن من العوامل المساعدة على بروز ولادة بنت المستكفي على الساحة الثقافية هي الخصائص التي اتسم بها عصرها، الذي يعد من أزهى عصور الأدب الأندلسي رغم السلبيات السياسية التي ميزته حيث أطلقت الشاعرة الأندلسية العنان في مجارات الرجل، كما لا ننكر فضل ابن زيدون في هذه الشهرة كون شعره الغزلي خاصة قد انصب حول أميرتنا الشاعرة بل كان حكرا عليها.[5]

ومن صفات مجلس ولادة بنت المستكفي الأدبي شيوع اللهو والمجون وقلة الاحتشام بل بلغ الأمر إلى درجة كبيرة من العبث ولعل ابن زيدون الشعرية تعكس هذا الأمر بوضوح خاصة في غزله بولادة حيث يصفها وصفا حسيا لا تحفظ فيه حيث يقول:

1- ينظر احسان عباس، المرجع السابق،ص132.

2- ينظر محمد عنان، المرجع السابق، ص424.

3- ابراهيم ابو الخشب، المرجع السابق،ص202.

4- ينظر خالد الصوفي، المرجع السابق، ص71.

5- ينظر شوقي ضيف، المرجع السابق، ص09.

نَعُمُّنَا بِلَفِّ جِسْمٍ بِجِسْمٍ لِلتَّصَافِّيِّ وَقَرْعِ ثَغْرٍ بِثَغْرٍ.[1]

بالفعل هذا البيت الشعري يعكس اللامبالاة التي اتصفت بها ولادة، وكان دليلا اتخذه المناوئ لها لتشويه صورة هذا المجلس الأدبي، لقد كان مجلس ولادة بنت المستكفي الأدبي زاخرا بأنواع الفنون ولم يقتصر على الشعر وحده فقد كان شائعا بين الجواري و من هن جارية ولادة "عتبة " كما كانت ولادة نفسها مغنية وتتقن هذا الفن جيدا وقصة غيرتها من جاريتها تثبت ذلك.[2]

كما كان هناك جانبا ايجابي لصالونها الأدبي ولا يمكن الحكم عليها بالسلبي بصفة مطلقة فانتشار الغناء فيه عكس جانبا مشرقا بحكم أن الغناء وسيلة من وسائل نقل التلاحين العربية إلا ما وراء الحدود الإسلامية بالأندلس وطريقا إلى التأثير العربي عامة، وفي هذه الناحية من ضروب الاختلاط الحضاري، ويمكن أن نقدر أثر العرب في البلاد المجاورة ذلك أن الغناء العربي بصفة عامة و الألحان العربية كانت تسمع وتستساغ في البلاطات الأجنبية.[3]

تمكنت ولادة بنت المستكفي من منافسة أشهر صاحبة الصالونات الأدبية وخاصة الفرنسيات منهن لا بل بلغت مرتبة الريادة في ذلك لجزالة قولها وتفرد شخصيتها وتميزها.[4] لذلك اكتسبت شهرة بلغت الآفاق وقد جمع هذا المنتدى إليه المبدعين،[5] فان كانت أول من سنت الانكشاف بسهولة حجابها فلا ينبغي أن نتجاهل مطلقا كونها امرأة ترأست مجلسا أدبيا في قرطبة دون أي دعم رسمي من حكومة بني جهور، بل ونافست فحول الشعراء وكبار الرجال بقرطبة. وابن زيدون خير مثال على ذلك، للإشارة فإنها لم تقتصر على المنافسة إنما فاقتهم إبداعات وجرأة وتميزا في صنعة الشعر.

1- رحمى عمران ،المرجع السابق،ص186.

2- ينظر ابن بسام ، المصدر السابق،ص342.

3- إحسان عباس، المرجع السابق، ص44.

4- ينظر خالد الصوفي، المرجع السابق، ص133،134.

5 - هنري بيريس، المرجع السابق، ص319.

ت. مميزات شعر ولادة بنت المستكفي و تأثيراته:

تطرقنا في المباحث السابقة أن الحرية الدينية و الثقافية ساهمت في تطور الشعر، هذه الحرية دفعت العديد من شاعرات الأندلس إلى الإسراف في التعبير عن عواطفهم، بل إلى التبذل والانحدار والبذائة في القول فقد روي شعر مكشوف مليء بأسباب البذائة وألفاظ السوق، لكنه بقي شعرا له ميزاته و يعكس طبيعة شخصية الشاعر الأندلسي والمستوى الثقافي للمجتمع عامة فلا طالما كان الشاعر ابن بيئته يؤثر كما يتأثر بها.[1]

وإن كانت حادثة الحب ملهمة لابن زيدون في تكوين شعره فهي كذلك بالنسبة لولادة بنت المستكفي ويتضح لنا أن الغزل في هذا العصر ظل دون شاعر متخصص لأن شعر ابن زيدون وولادة كان ذا لون واقعي يدور حول علاقة حية غير مبهمة تمثل تقاربا على المستوى الاجتماعي وشيئا من التقارب على الصعيد الفكري وتتصل قوتها بقوة القصة نفسها فعلاقة الحب التي جمعت هذا الثنائي كانت الملهمة في تبلور هذا المستوى الثقافي مما أنتج إرثا شعريا ساهم بتأثير إيجابي على عموم الحياة الثقافية ليس في قرطبة فحسب بل الأندلس قاطبة.[2]

تمتعت المرأة بأهمية في المجتمع الأندلسي عامة، ومن هن ولادة بنت المستكفي فبجعلها لبيتها منتدى يلتقي فيه الأدباء و الشعراء وأسهمت بفضل شعرها في رفع حدة التنافس الثقافي بين الشعراء والشاعرات ومن خصائص شعرها الغزل بنوعيه الفاضح والجريء والغزل العفيف.[3] يشغل الغزل مكانا واسعا من الإرث الشعري،لأنه أعلق النفوس وأوثق بالقلوب فهو من أصدق فنون الشعر لأنه تعبير عن عاطفة صادقة،ومما لا شك أن المرأة كالرجل تحب وتتشوق وتتذكر وتتمنى فإذا كانت أدبية

1- يونس هاشم، المرجع السابق، ص03.

2 - ينظر احسان عباس، المرجع السابق، ص133،134.

3- ينظر محمد سعيد الدغيلي، المرجع السابق، ص47.

فطبيعي ان تتغنى بحبها، إلا أن بوح المرأة بحبها لم يكن مستحبا عند العرب إذ اعتبرته افتضاحا لها.[1]

في حين أن بعض الشاعرات تقول شعرا محافظا يتسم بالزانة واستقامة المعاني ذلك في مطلع حياتها ولكنها ما إن يقوى ودها يشتد ساعدها وتستحفل شياطينها حتى نراها تقول شعرا آخر فيه صراحة وجرأة ومفارقة الحشمة بل أحيانا تقترب من الإسراف والبذاءة وانتشر الغزل الجريء في الأندلس بالقرن الخامس الهجري بسبب مظاهر الترف المختلفة.[2]

أشرنا سابقا إن ابن زيدون ملهما لولادة في إنشاء غزلها باعتبار أن ولادة شخصية واضحة لاكمالها قصة الحب بالاستجابة الفنية من جانبها وان كان ذلك قد الحق بها الكثير من التهم أبرزها المجاهرة باللذات، والابتعاد عن التصاون كونها أميرة ولا يليق بامرأة من هذه الطبقة أن تنحدر من هذا المستوى المتدني حسب الكثير من المؤرخين،[3]كما اقتحمت المرأة الشاعرة في الأندلس مجال الغزل المثير واستطاعت أن تصور مشاعرها اجاه من تحب وأن تجهر بذلك دون خجل أو قيود، فبادلت الغزل بالغزل بل تعدى لأمر غلى مبادرتها بالغزل والحنين والتشوق بكل جرأة بكل إبداع شعري، فكانت ولادة بنت المستكفي رائدة هذا المجال بكل جدارة واستحقاق.[4]

لم يكن للغزل في العصر الأموي السابق شاعره التفرد ولكنن كان الشعر الغزلي غزيرا وسيطر عليه عموما التذلل والشكوى وذكر الدموع والسهر وامتحان صدق الحب بتمني الموت وإظهار الغيرة الشديدة و غير ذلك من المظاهر، وقد شاع الغزل في عصر ولادة بنت المستكفي بالجمال الأشقر واتخاذ الحمائم لتبليغ الرسائل وعن التهادي بخصل الشعر المبخرة مرشوشة بماء الورد، كما ان ضروب الحب عندهم أدت إلى

1 – ينظر المقري ،المصدر السابق، ص286

2 – يونس هاشم، المرجع السابق، ص03.

3 – ينظر إحسان عباس، المرجع السابق، ص132،134.

4 –ينظر المقري، نفسه، ص287.

الجنون والأخرى أدت إلى الانتحار حيث ادت مشاعر الحب بسجن ابن زيدون كما سنرى لاحقا.[1]

الشاعر الأندلسي يصف زيارة محبوبته له وما جرى بينهما من أحاديث العشق وأحداث اللقاء، والمرأة الحرة أشد حرصا من الرجل على هذا الأمر إذ ليس معهودا عند العرب أن تصبح طالبة لا مطلوبة تتغزل بالرجل وتزور معشوقها، لكن ولادة بنت المستكفي خرجت عن المألوف واتسم بالجرأة والتحرر حيث تقول في أول لقاء بينها وبين معشوقها ابن زيدون:[2]

تَرَقَّبَ إِذَا جَنَّا الظَّلَامُ زِيَارَتَي فَإِنْي رَأَيْتُ اللَّيْلَ أَكَتَمَ لِلسِّرِّ

وبي مِنْكَ لَوْ كَانَ لِلشَّمْسِ لَمْ تَلُحْ وَ بِالْبَدْرِ لَمْ يَطَّلِعْ وَباليل.[3]

قائلا ابن زيدون واصفا هذا اللقاء" فلما طوى النهار كافوره ونشر الليل عنبرة أقبلت بقد كالقضيب وردف كالكثيب، وقد أطبقت نرجس المقل على ورد الخجل..." باح كل منا بحبه وشكى أليم ما بقلبه وبتنا نجني أقحوان الثغور ونقطف رمان الصدور فلما انصرفت عنها صباحا أنشدتها ارتياحا:

وَدَعَ الصَّبْرُ مُحِبًّا وَدَعَكَ ذَائِعٌ مِنْ سِرِّهِ مَا اِسْتَوْدَعَكَ.[4]

اشرنا سابق ان قصة الحب بين ابن زيدون و ولادة قد لعبت دورا كبيرا في استثارة مشاعر الطرفين مما ولد شعرا غزليا أقل ما يمكن القول عنه انه كان جريئا لأنه يعكس طبيعة الحياة الثقافية التي نتجت في أعقاب تطورات سياسية في عصر ملوك الطوائف، إن ابن زيدون مضطرب المشارب ساقته الأقدار لحب ولادة صاحبة

1- رحمى عمران، المرجع السابق، ص186.

2- ابن بسام، طوق الحمامة، المصدر السابق، ص132

3- شوقي ضيف، المرجع السابق، ص58.

4- خالد الصوفي، المرجع السابق، ص75.

الجمال والأدب و كانت عبارات رائعة مما حفز ولادة على الإبداع هي الأخرى في شعرها الموجه إليه خاصة.[1]

من الواضح أن رسائل ابن زيدون الغزلية قد استوفت المرحلتين:

حالة الرضى والسعادة وحالة الهجر والخصام وبادلت ولادة بنت المستكفي هذه المشاعر والعواطف بالاستجابة الفنية من جانبها فكانت رسائلها أحد أشهر وأرقى مراحل الغزل في ذلك العصر حيث كتبت ولادة بنت المستكفي تقول:

أَلَا هَلْ لَنَا مَنْ بَعْدَ هَذَا التَّفَرُّقِ سَبِيلًا فَيَشْكُوَا كُلُّ صَبٍّ بِمَا لَقِيُّ

وَقَدْ كُنْتُ أَوْقَاتَ التَّزَاوُرِ فِي الشَّتَا أَبَيْتٌ عَلَى جَمْرٍ مِنَ الشَّوْقِ مُحْرِقٌ.[2]

فأجابها ابن زيدون قائلا:

لَحَى اللهُ يَوْمًا لَيْسَ فِيهِ بِمُلْتَقٍ مَحَيَاكَ مِنْ أَجَلِ الْقُوَبَوَ التَفَرُقِ.[3]

من خلال هذه الأبيات الشعرية نجد ابن زيدون هائما بحب ولادة ساعيا لا رضائها ولم يكن لينساها في أي لحظة تمر به فكل شيء يوحي إليه بنظم الشعر فيها، فهو الذي تغنى بالزهراء في أيام الربيع علنا وضمنها لولادة حنينا سرا،بالفعل أن ولادة لم تكن شاعرة قرطبة الأولى فحسب بل كانت ملهمة الشعراء وفيها قيل أجمل الأشعار، إن هذا التأثير المميز لولادة اكسب الساحة الثقافية القرطبية والأندلسية جمالا، إبداعا و تنوعا.[4]

لم تكن ولادة شاعرة غزلية فحسب بل كانت أيضا هجاءه مريرة سليطة اللسان خاصة في أعقاب الخصام الذي كان بينها و بين ابن زيدون بسبب غيرتها من جاريتها

1- ابن زيدون، ديوان ابن زيدون، دراسة تهذيب عبد الله شندة، دار المعرفة، ط1، لبنان 1426هـ،2005م، ص05-06.

2- محمد مولود خلف المشهداني، الرسائل الشعرية عند ابن زيدون، مجلة الكتاب، العدد43، كلية الأدب، بغداد، 1997، ص25.

3- شوقي ضيف، المرجع السابق، ص59.

4- ينظر خالد الصوفي، المرجع السابق، ص71.

عتبة فبعد هذه الحادثة غيرت ولادة أساليبها الشعرية واستطاعت بحة لسانها أن تفوق أترابها من بنات عصرها،وشهرت بابن زيدون بألفاظ بذيئة و فاحشة لأنه حسبها تطاول عليها عندما كتب رسالة هجاء على لسانها لغريمه ابن عبدوس، كل هذه الظروف سالفة الذكر حتمت على ولادة إشهار لسانها و القذف في شخصية ابن زيدون.[1]

حين قالت فيه:

وَلَقَّبَتِ الْمُسَدَّسُ وَهُوَ نَعْتُ تَفَارُقِكَ الْحَيَاةَ وَلَا يُفَارِقُهُ [2]

الملفت للنظر في هذا اللون من الشعر سوآءا الغزل الجريء أو الهجاء الفاحش أن اللواتي صدر عنهن هذا النوع كن أميرات من بيت الملك أو الطبقة الراقية في المجتمع ولنا في ولادة مثال على ذلك إذ أن نسبها الأموي العريق لم يجعلها إطلاقا تتحلى بالحشمة والحياء والعفة فقد تجاوزت الحد حسب رأي البعض، و أطلقت العنان لذاتها وهجاءها قد عكس صورة المرأة المتحررة والشخصية القوية في آن واحد، التي تأبى أن يتحكم الرجل بها أو يفرض عليها منطقه.[3]

من الملاحظ أن الإبداع لدى ولادة بنت المستكفي و سرعة انتقالها من الغزل إلى الهجاء في مرحلة زمنية قصيرة نسبيا فرغم حبها لابن زيدون الذي بادلها الحب هو الآخر و تغزل بها في أجمل الأشعار إذ يقول:

إِنْ غِبْتُ لَمْ أَلْقِ إِنْسَانًا يؤانسني وَانِ حَضَرَتْ فَكُلَّ النَّاسِ قَدْ حَضَرُوا.[4]

لقد ابرز ابن زيدون في هذا الشعر صدق عواطفه لكن ذلك لم يردع ولادة بل واصلت هجاءها وإعراضها عنه كما أشرنا سابقا فأن قصة الحب التي جمعت كل منة شاعرتنا وابن زيدون قد تركت أثرها في شعريهما فكان هذا الشعر يتلون بتلون هذه العلاقة، فمرحلة الود والوصل أنتجت لنا شعرا غزليا عفيفا تارة وفاحشا تارة أخرى، أما مرحلة القطيعة فقد أثمرت هي الاخرى بألوان شعر جديدة من الهجاء والفخر، فقد

1 – المقري، المصدر السابق، ص340.

2 – شوقي ضيف، المرجع السابق، ص61.

3 – ينظر يونس هاشم، المرجع السابق، ص03.

4 – ابن زيدون، المصدر السابق، ص 344.

أحست ولادة بنت المستكفي بالانتقاص الشديد لمكانتها وجمالها وكبريائها بعد حادثة جاريتها "عتبة" سابقة الذكر فتقول وهي تعنف ابن زيدون وتفتخر بنفسها:

لَوْ كُنْتُ تَنَصَّفَ فِي الْهَوَى مَا بَيْنَنَا لَمْ تُهْوَى جَارِيَتُي وَلَمْ تَتَخَيَّرْ

وَتَرَكْتْ غُصْنَا مُثْمِرَا بِجَمَالِهِ وَجَنَحَتْ لِلْغُصْنِ الَّذِي لَمْ يُثْمِرْ

وَلَقَدَّ عَلِمَتْ بِأَنَّنِي بَدْرُ السَّمَا لَكِنَّ ذَهَّبَتْ لِشَقْوَتِي بِالْمُشْتَرِي.[1]

قد أججت هذه الحادثة الغيرة لدى ولادة كما أن تصرف ابن زيدون لم يكن محمود العواقب فلم تنسى ولادة يوما أنها الأميرة الأموية لذلك وجب عليه أن يتوجها أميرة فقلبه وان النظر لسواها سيكلف لابن زيدون قطع العلاقة فولادة قد تهافت عليها الكثير من المحبين سواء وزراء أو شعراء وخير مثال على ذلك ابن عبدوس.

ذكرنا أن ولادة كانت تعبر عن شوقها ورغبتها الملحة لزيارة ابن زيدون لذلك لم تحد عن هذا الأمر في الهجاء لكن بطريقة أخرى، حيث أظهرت محاسنها ومفاتنها الحسية وتعاتب بطريقة قوية أي إهمال في طرف الآخر.[2]

قد اثارت ولادة بنت المستكفي بشعرها عموما و هجاءها خاصة الكثير من الجدل حولها ووصفت بالاستهتار وعدم التصاون حيث تروي الكاتبة المعاصرة "سلمى الحفار الكزبري" أن هذا السلوك ليس إلا نزوة من نزوات الشباب كون ولادة بنت المستكفي كانت في ريعان شبابها وليس هناك سلطة أسرية تفرض عليها ضوابط، ومن ابرز الأبيات التي أثارت الجدل حولها:

أَنَا وَ اللهُ أُصْلُحْ للمعالي وَ اِمْشِي مَشَّيْتِي وَ اتيه تِيهًا

أَمْكَنَ عَاشِقِيٌّ مِنْ صَحْنِ خَدِّيٍّ وَ أُعْطِي قِبَلَتَي مَنْ يَشْتَهِيهَا.[3]

عرف ابن زيدون بولادة بنت المستكفي فلا يذكر إلا بها وقد اقترن اسميهما معا كما اقترن عنترة بعبلة وقيس بليلى، ولعل يأسه من ولادة دفعه إلا مغادرة قرطبة مسقط

1 – ينظر سعيد بوفلاقة ، المرجع السابق، ص276.

2 – ينظر يونس هاشم، المرجع السابق، ص04.

3 – سعيد بوفلاقة، نفسه، ص277.

رأسه إلى إشبيلية لعله يستطيع أن ينسى حبه أو يتجاوزه، كما أن ولادة بدورها لم تتزوج قط و توفيت 584هـ-1091م بعد أن خلدت اسمها في تاريخ الشعر العربي، وتاريخ المرأة الأندلسية،[1] فهي الشاعرة صاحبت الكبرياء والأنفة وهذه الاخيرة هي التي بسببها أنهت قصة حبها لابن زيدون فتصرفات هذا الأخير كانت نرجسية،[2] حسب الكثير من المؤرخين المعاصرين اللذين يحملونه مسؤولية انتهاء هذا الحب.

لقد كانت نونية ابن زيدون مثالا لما وصل إليه الذوق الأندلسي من رقي فقد استطاع الشاعر حبه ولهوه بأبيات تمثل حياة الفرد في ذلك المجتمع الذي كان انفتاحيا إلى حد السفور، لاهيا إلى حد العبث، عاطفيا إلى حد العشق إننا ندين غلى هذا الحب بكثير من الامتنان لأنه جعل قريحة الشاعرين تجود بأفضل ما قيل في الغزل و بانتهاء هذا الحب لم يتوقف ابن زيدون عن الكتابة لولادة فهو لازال يعتذر

عن فراقها ويعلمها انها ملكة قلبه وروحه.[3] يقول في أحد أبيات شعره:هي الماء يأبى على قابض.[4]

قد ارتبط العلم الرمزي للماء بولادة أليس الماء ولادا للحياة؟ أليست ولادة ولادة للمأساة؟ بعدما كانت ولادة للحياة لذلك وصفها الشاعر تارة هي البحر الذي يسحب صبر أغواره والخوض في أعماقه لصعوبة أمواجه وعمق مداها، ووصفها أخرى ليس

1 – أتيك نور حياتي، الاستعطاف في شعر ابن زيدون، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة شريف هداية الله الحكومية الإسلامية، جاكارتا، 2015م 1436هـ ، ص77.

2- مفهوم وصل إلينا عبر اسطورة نارسيس، الشاب اليوناني الجميل الذي عشق نفسه عشقا كبيرا فالنرجسية تعني حب الذات حبا مرضيا، و بذلك تصبح النرجسية مرضا، أنظر حسناء أقدح، النرجسية وتجلياتها في غزل ابن زيدون، مجلة جامعة دمشق، مجلد 29، العدد 02/01،2013م، ص190.

3– آمال موسى محمد نور، الفن البلاغي في نونية ابن زيدون، مجلة العلوم الإنسانية والاقتصادية، العدد01، قسم كلية اللغات والترجمة، جامعة الرباط، ص2.

4 – شوقي ضيف، المرجع السابق، ص 20.

من الزاوية الإيجابية التي ترتبط بالحياة والعطاء والتجدد، ولكن من زاويته السلبية التي يغدوا معها مرادفا لعدم الاستقرار.[1]

لقد كان تأثير ولادة واضحا في إبداع ابن زيدون فلولاها لما كتب هذا الفن الجميل.

3. انعكاس شخصية ولادة بنت المستكفي على الحياة الاجتماعية في قرطبة:

ا. تأثير شعر ولادة بنت المستكفي على الأفراد بقرطبة:

تميزت الأندلس أنها بلد المتناقضات فهي بلد الثورة المستمرة،[2] وهي بلد التقاليد الدينية، وفي الوقت نفسه بلد الحرية ثم هي بلد الترف إلى أوسع ما يكون، وقد وجد الترف في المشرق لكنه لم يشع بين أفراد الشعب على نحو ما شاع في الأندلس إذ نجد كل شخص يشرب من كؤوس الخمر واللذة مسرفا فيها إلى أبعد ما يكون التهالك والإسراف حتى القضاة أنفسهم ورجال الدين قد نحوا هذا السبيل وفي قرطبة كان مجلس ولادة بنت المستكفي مثالا للهو والترف.[3]

أشرنا سابقا أن عصر ملوك الطوائف بالجمال تميز بالكثير من الحريات ترتب عنها الإغضاء عن الكثير من القيود الدينية ولاسيما ما تعلق منها بتحريم الخمر وحجب المرأة وغلى ذيوع العلاقات الغرامية بين الجنسين والاستهتار بأحكام الدين، والمجاهرة بالمعاصي وارتكاب الأمور المحرمة، وكثرة مجالس الإنس والطرب والنساء والغلمان، وكانت مجتمعات الطوائف المرهقة المنحلة تتأثر بهذه الروح الإباحية وكان هذا الانحلال الشامل يجتاح يومئذ سائر الطبقات في المجتمع الأندلسي.[4]

---

1 – خلود بنت عبد اللطيف الجوهر، ضاديه ابن زيدون، (ت 463هـ)، دراسة في البنى الدلالية، مجلة الجمعية العلمية السعودية، للغة العربية، العدد16،1436هـ، ص27.

2 – شهدت الأندلس عدة اضطرابات منذ الفتح الإسلامي إلى غاية عصر ملوك الطوائف، وقاد هذه الثورات إما البربر القيسيين واليمنيين نظرا للتوترات بين هذه الأجناس في المجتمع وهناك عدة عوامل دفعت لهذه الثورات أبرزها الأسباب العرقية، أنظر ابن عذارى، المصدر السابق، ص114.

3– شوقي ضيف، المرجع السابق، ص09.

4– عبد الله عنان، المرجع السابق، ص424.

إن الأمور التي شهدت تحولا في المجتمع الأندلسي والقرطبي خاصة أن المرأة بدورها شهدت تصرفات وتحررا كبيرا قد صدر عن ذلك عن نساء كن أميرات وأبرزهن كن ولادة فلم يقتصر هذا الأمر على الجواري أما نساء العامة فبقي منهن من حافظت على التقاليد. لقد أحدثت قصة حب ولادة بنت المستكفي والوزير ابن زيدون ضجة اجتماعية ،فهذا الاخير لم ينسى حبه لها حتى و هو في إشبيلية، بل ظل يرسل إليها أشعاره،[1]

ولعل من اجملها نونيته الشهيرة التي مطلعها:

أَضْحَى التنائي بَدِيلَا عَنْ تَدَانِينَا وَنَابٍ عَنْ طَيِّبِ لُقْيَانَا تُجَافِينَّنَا

غَيْظَ الْعِدَى مِنْ تَسَاقِينَا الْقُرَى فَدَعَوَا بِأَنَّ تَعَصٍّ فَقَالَ الدَّهْرُ أَمِّيُّنَا

بُنْتُم وَ بِنَا فَمَا اِبْتَلَتْ جَوَانِحُنَا شَوْقَا اِلِيِّكُمْ ولاَ جَفَّتْ مآقينا.[2]

لم ترد ولادة على حنين ابن زيدون فعلى مالا يظهر قد انسحبت نهائيا عن الحياة الاجتماعية وانزوت أو كما يقول أحدهم أنها قد أصبحت من حريم ابن عبدوس، خاصة وإن بني جهور لم يكونوا ينظرون إلى الاجتماعات التي كانت تعقد في دارها بعين الرضا.[3]

برغم المضايقات السياسية التي تعرضت لها ولادة بنت المستكفي إلا أن ذلك لم يمنع من إحداثها تأثيرا واضحا في الحياة الاجتماعية خاصة بشعرها الذي يعتبره البعض كلاما سوقيا إباحيا.

تميزت المرأة الشاعرة عموما بأنها كل ما كانت قريبة العهد بزمان الفتح كانت أقرب إلى عروبتها وبالتالي إلى حشمتها والارتباط بأسباب التحرر في القول والتردد في الجرأة والابتعاد عن التريث وتجنب الفحش، وكلما بعد العهد بها انغمست في التحرر الذي هو في الحقيقة تحلل اكثر منه تحررا.

1–خالد الصوفي، المرجع السابق، ص80.

2 –ابن زيدون ، المصدر السابق، ص 46.

3 –خالد الصوفي، نفسه، ص80

تلاشت صورة المرأة العفيفة في المجتمع الأندلسي إلى حد بعيد في القرون الاخيرة، حيث تأثر المجتمع بالقيم الاجتماعية للنصارى الإسبان والدليل على ذلك المرأة الشاعرة تقول شعرا ماجنا في الهجاء تذكر فيه العورات و تقول شعرا غزليا صريحا جريئا ينشد و يصاغ في المجتمع وهذا الأخير يتقبله ولا ينكره.[1] بدليل أن بعض المؤرخين قد قاموا بحذف كلمات بذيئة من أشعار ولادة بنت المستكفي خاصة في هجاء ابن زيدون وصنف البعض هذه المصطلحات المذكورة على لسانها بالأسلوب السوقي.[2]

كان تأثير ولادة بنت المستكفي بالفعل كبيرا كونه أميرة جميلة الشكل حسنة الصوت، مبدعة أدبيا مما جعل تصرفاتها مثالا أعلى ومرجعا لنساء المجتمع القرطبي، برغم ذلك لا يمكن جعل ولادة مثالا للمرأة الأندلسية فالمرأة لدى العامة كانت تقف مع الرجل تساعده، وكانت في الريف تقوم بواجبات تمتد خارج المنزل للحصول على قوت العائلة لذلك غلب عليهن الطابع المحافظ عليهن.[3]

من الملامح العامة لشخصية ولادة بنت المستكفي هو ابتذال حجابها وهذا ما يتفق عليه أغلب المؤرخين كما أنهم في نفس الوقت يقعون في تناقض واضح، فيريدون أنها كانت تكتب في أحد طرفي ثوبها:

أَنَا وَ اللهُ أَصْلَحُ للمعالي وَأُمَشِّي مَشْيَتَي وَ اتيه تِيهًا

وكتبت على الطرف الآخر:

وَ أُمُّكُنَّ عَاشِقُي مِنْ لُثُمِ خَدِّي وَ أُعْطِي قِبَلَتَي لِمَنْ يَشْتَهِيهَا.[4]

1 –هاشم مجيد، المرجع السابق،ص05.

2 – ينظر سعيد بوفلاقة، المرجع السابق،ص277.

3– ينظر، خالد صلاح، إشبيلية في القرن الخامس هجري، دراسة أدبية تاريخية، دار الثقافة، د.ط، د.ت، بيروت، ص91.

4–خالد الصوفي، المرجع السابق، ص70.

وذكروا أنها رئيسة الطبع كريمة النفس إن هذا التناقض واضح فولادة ما هي إلا انعكاس لصورة مجتمعها المنحل في الواقع أصلا لكن ذلك لا يعني إطلاقا أنها كانت من الرواد والمبادرين إلى انتشار هذه التصرفات الدخيلة على المجتمع القرطبي.

كان من صفات المرأة عموما الاحتشام فقد غلب على الحرائر الحجاب فكان حجابهن أشد من غيرهن أم الجواري فكان المجتمع يتسامح معهن أكثر من ذلك،[1] لكن مع السنوات المتأخرة للحكم الإسلامي بالأندلس أصاب المجتمع نوع من الشذوذ عن هذه القاعدة فمظاهر الترف أثرت على عقلية الأندلس عموما إضافة إلى الثقافات الوافدة لهذا المجتمع لكن كما ذكرنا سابقا لا يكن اعتبار ولادة مثالا للمرأة الأندلسية الحرة.[2]

لقد انتشر الغزل الجريء في الأندلس ولم تكن ولادة بنت المستكفي استثناءا بعد ان فقد المجتمع الأندلسي تمسكه وضعف الأواصر التي كانت تشد بناءه وانغمس الناس في الترف المادي، والتردي الاجتماعي فكانت تتغزل بالرجل كما كانت تتغزل بالرجل كما يتغزل بها فكانت تلح في إغرائه وإغوائه لذلك ابتذل حجاب ولادة وأصبح المجتمع القرطبي والنساء بصفة خاصة يميلون لهذا النوع من السلوكيات ولم يعد للمجتمع أي قيود تعفيه من التعبير عن مشاعره أو تجسيد أهوائه.[3]

إن المرأة مخلوق شفاف رقيق العواطف تمثل قيمة حقيقية في بناء المجتمع وتترك بشخصيتها و مبادئه أثرا لدى الآخر وكثيرا ما تمتد هذه الآثار إلى مستقبله على الآخر وقد تبوأت المرأة الاندلسية عامة وولادة بنت المستكفي خاصة مكانا ساميا في حياة الرجل لا ينسى فهي العاشقة الجريئة التي ألهمت ابن زيدون شعرا وعاطفة وقيدته بحبها، فصار سجينا هاربا مغتربا كما أنها ورغم كونها أميرة ذات حسب ونسب لم

1- عتيقة عبد العزيز، الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية، للطباعة والنشر، د.ط،د.ت، ص144.

2- هاشم مجيد المرجع السابق، ص05.

3 -رحمى عمران، المرجع السابق، ص181.

يمنعها ذلك من تجاوز الفوارق الاجتماعية والطبقية وتهيم بوزير لطالما أحس بالنقص اتجاهها.[1]

نجد أن تصرفات ولادة بنت المستكفي تعكس ثقافة والدتها إضافة غلى المحيط التي تربت فيه، الذي اكسبها شخصية الجواري كما أن ولادة بالفعل قامت بتغيير القواعد الاجتماعية لشخصية المرأة الأميرة.

أدرك أدباء وشعراء الإسلام حقيقة تلازم الأخلاق والشعر باعتبارهما يرتدان غلى حقيقة جمالية واحدة داخل الإنسان فبعض الشعر يحل عقدة اللسان ويطلق يد البخيل و يحض على الخلق الجميل،[2] لذلك يجمع المؤرخون أن شعر ولادة بنتي المستكفي كان من أسباب الانحلال الخلقي في المجتمع القرطبي، فالشاعر يؤثر بمحيطه وكون ولادة أميرة ذا شهرة واسعة فإن شعرها كان مشارين الأفراد، لذلك عندما ابتذل حجابها ورددت شعرا مفتقرة بذلك جعل المؤرخون ينسبون إليها أنها أول من سن سنة الانكشاف في المجتمع.[3]

لا ننفي إطلاقا التأثير العظيم لهذه المرأة الاستثنائية على حياة الأفراد المجتمع القرطبي والأندلسي عامة، فلم يقتصر الاهتمام بالأدب والشعر على مكان دون غيره أو على طبقة دون غيرها ،بل شهد كافة أنحاء الأندلس، وعلى كافة الألسنة في جميع الطبقات الاجتماعية سوءا كانوا من التجار أو الصناع، أو النساء أو الجواري فمثلا في مدينة شلب قل أن ترى ن أهلها من لا يقول شعرا، ولا يعاني أدبا ولو مررت بالفلاح خلف فنائه وسألته عن الشعر قرض من ساحته ما اقترحت عليه وأي معنى طلبت منه.[4]

1– رحمى عمران، المرجع السابق، ص181.

2–ابن الرشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ط04، بيروت، ج01، د.ت، ص30.

3– هنري بيبرس، المرجع السابق، ص349.

4 – الحموي، المصدر السابق، ص357–358.

بالفعل هذه من أسباب شهرة ولادة فالمجتمع الأندلسي عامة والقرطبي خاصة كان مولعا بالشعر متذوقا لهذا الفن ما جعل تأثيره على الفرد ذا أهمية بالغة ومن الملاحظ أن دوافع نظم الشعر قد تغيرت ففي البداية كان شعرا يغلب عليه المحافظة أما في عصر ملوك الطوائف من غلب عليه الشهوة والغزل برغم الظروف السياسية الصعبة التي تقتضي بروز شعر يحث على الجهاد والالتفات لأمور الرعية.

ومن أسباب ذيوع هذه التصرفات من ابتذال للحجاب والخمر وغيرها هو الحرية في المجتمع لدرجة أن أصحاب الديانات السماوية قد عاشوا بين الأجناس المسلمة متمتعين بكامل الحرية الدينية والفكرية، فملوك الطوائف عامة لم يحدد ضوابط لمجتمعاتهم.[1]

ب.أسباب قدرة ولادة على التأثير في المجتمع ونتائج ذلك:

تكونت التركيبة السكانية للأندلس من عناصر مختلفة من العرب والبربر والموالي والمولدين والصقالبة، ورغم هذا التعدد العرقي لسكان الأندلس إلا أن هذا التمازج بين هذه العناصر كان غالبا في عهد ملوك الطوائف، وقد شاركت هذه الأجناس مجتمعة في الحياة الأندلسية، فكان منهم العلماء والفقهاء والكتاب والملوك، قد تشابهت العناصر الاجتماعية في كل الإمارات الأندلسية وكان المجتمع مستقرا نسبيا إذ استثنينا التوتر السياسي و الخوف الدائم من هجمات النصارى، ويشير الكثير من المؤرخين أن هذا البناء الاجتماعي كان هشا سهل التأثير فيه.[2]

أشرنا سابقا أن الأديب و الشاعر يحاكي عصوره و أهم أنواع الشعر الرائج آنذاك هو شعر الاستعطاف وهو يوجه للملوك أو أصحاب النفوذ لنيل رضاهم وقد كان يعرف زيادة لافتة للنظر آنذاك، وهذا راجع لانعدام الاستقرار في هذا العصر سوآءا

1- أنظر، ول ديورانت، قصة الحضارة، تر: زكي نجيب محمود وآخرون، د.ط، القاهرة، 1956، ج03، م04، ص52.

2- أنظر ابن حزم الأندلسي، جمهرة الانساب العرب، تح: عبد السلام هارون، دار المعارف، د.ط، القاهرة، 1971م، ص132.

السياسي والاجتماعي فيتمادى فيه الضعيف في التوبة ويمعن في الاعتذار،[1] وقد تتناول ابن زيدون هذا الغرض الشعري في ديوانه خاصة في محنته أثناء سجنه.

ولت ولادة بنت المستكفي الغزل بكل أنواعه إلا أننا لم نلمس عندها استعطاف لاحد، فشعرها كان موجه لا بنى زيدون وحده وكأنها رغم ما مرت به من إنهاء علاقتها بابن زيدون وإقفال صالونها الأدبي والشائعات التي طالتها مثل: وصنعها بالاستهتار لم تجعلها في موقف ضعف ولم تكن تنذره إطلاقا في مجتمعنا فشعرها يذاع.[2] وصالونها قبل أقفالها كان قبله لكل الأصناف من الناس لذلك كانت قدرتها على التأثير واضحة جلية.[3]

أما الأسباب المباشرة التي ساعدت ولادة في تأثير بمجتمعها هو حرية المرأة، فقد كان مسموحا لها بحضور الاحتفالات و الرقص مما مهد حسب الكثير إلى ظهور الرذيلة، وأفسح المجال لتسللها إلى أركان المجتمع الأندلسي كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء" ويركز أصحاب هذا الموقف أن منتداها الأدبي فقد جمع بين الجانب الثقافي والتشجيع على الانحلال الخلقي فكثير من أشعارها مع ابن زيدون تفننت بالخمر، وظلت مقطوعاتها أثيرة لدى الناس.[4]

مما لاشك فيه أن الفن يضطلع في البناء الأخلاقي للبشرية ومنذ أفلاطون وربما قبله ظل أصحاب الموقف الأخلاقي من المفكرين والنقاد إزاء الفن يوجهون إلى الفن عامة وإلى الأدب خاصة تهمة خطيرة ،مفادها بأنه من خلال تأثيره في النفس الإنسانية قادر إذ هو خرج عن محور الطبيعي أن يفسد الأذواق ويحطم القيم ويكون

1- أتيك نور حياتي، المرجع السابق، ص54.

2-يونس هاشم، المرجع السابق، ص03.

3 -إحسان عباس، المرجع السابق، ص132.

4 -إبراهيم علي أبو الخشب، المرجع السابق، ص202.

أداة تخريب في بنية المجتمع الصالح ومن ثم أن يكون مسؤولا ضمنيا عن انحطاط الحضارة وانهيارها.[1]

ليست قصة حب ابن زيدون وصاحبته ولادة وما اهتزت به شاعرية هذا الشاعر الأندلسي الكبير بالقصة التي ينظر إليها على أنها قصة حب فردية خاصة لأنها تمثل في معناها العام هذه التجربة الإنسانية بكل ما جاشت به مشاعر الإنسان في كل أحوال الحب المختلفة وقد كان حبه قويا عميقا ألهب نفسه وبادلته ولادة ذلك ففاضت بأعذب شعر وأبدعت في ضروب الشعر والغزل ما شاء لها أن تبدع وكونها من طبقة اجتماعية راقية تابع الناس قصتها وردد شعريهما.[2]

إن فضل ولادة وتأثيرها بداية على ابن زيدون كان كبيرا فثلث ديوان هذا الشاعر كان غزلا لها، وهي نسبة عالية لا تكاد تجدها عند الشعراء، وفيه نفس عن حبه وأطلق لوجدانه العنان،[3] لذلك لم يقتصر تأثيره على الطبقة العامة بل تعداها إلى الطبقة الراقية في المجتمع إضافة إلى ذلك فصالونها قصده كبار رجال الدولة.[4]

بالفعل قد ظهرت المتناقضات الواضحة في المجتمع الأندلسي نظرا لتعدد العناصر التي كان يتألف منها فكانت الحرية قائمة وكان الترف شائعا في الطبقات الخاصة بأجلي قيمة، ولعل الصالون الوطني لولادة كان دليلا كافيا على ما وصل إليه المجتمع من إدراك لحرية المرأة التي انعكست على علاقات الناس جميعهم وقد انتشرت مجالس الانس والغناء التي كان يقصدها الشعراء والأدباء ة وغيرهم، ومن المفارقة أن ولادة بنت المستكفي كانت من النساء القليلات اللواتي افتتحن الصالونات إن لم نقل الوحيدة في الأندلس قاطبة فنافست الرجال وتفوقت عليهم.[5]

1 –إحسان عباس وآخرون، دراسات في الأدب الأندلسي، الدار العربية للكتاب، د.ط، ليبيا، د.ت، ص07.

2– أتيك نور حياتي، المرجع السابق، ص75.

3– ينظر إحسان عباس، المرجع السابق، ص133.

4– ينظر خالد الصوفي، المرجع السابق، ص70.

5– أتيك نور حياتي، نفسه، ص38.

تمتعت المرأة بحرية كبيرة في المجتمع لكن ذلك لم يمنع من حدوث تجاوزات ضدها ففي قصة حبها لابن زيدون قد تعرضت لكثير من المواقف التي لا تليق لأميرة مثلها فكان لا يتورع في استعمال يدهى في تأديب المرأة إذ يحتد النقاش بينه و بين ولادة في إحدى المرات فيمد يده إليها بالضرب في ثورة من ثورات غضبه باندفاع هائج ثم يحاول بعد ذلك أن يعتذر[1] إذ يقول :

إِنْ تَكُنْ نَالَتْكَ بِالضَّرْبِ يَدِي وَ أَصَابَتْكَ بِمَا لَمْ أُرِدِ
فَلَقَدْ كُنْتَ لَعَمْرِي فَادِيًا لَكِ بِالْمَالِ وَ بَعْضِ الْوَلَدِ.[2]

من خلال هذا الموقف التي جسدته الابيات الشعرية نستنتج التناقض الاجتماعي لحياة الأفراد في قرطبة فبعد غزل مليء بشجن للمرأة نرى تصرفا متهورا ضدها و هذا يعكس بالفعل تناقض المجتمع في عهد ملوك الطوائف، وهذا كله نتيجة الحالة النفسية الصلبة للأندلسي عموما في ظل وضع سياسي مضطرب.[3]

تميزت شاعرتنا بشخصية قوية ذات تأثير منقطع النظير إذ يصور لنا ابن زيدون عهد ولادة ويشبهه بها أي انه ذو طبيعة مائية مثل طبيعتها تماما كما قال الشاعر سراب تراءى و برق ومض وهي عبارة عميقة دلاليا و مختصرة لفظيا، قد بدأ الشاعر بالسراب الذي تراءى قبل البرق الوامض للإشارة إلى المائية السلبية، لأنه يعتقد أن ومض البرق مستمر بأمل الماء القريب لكنه سيشك بهذا الترجيح الذي يهدف غليه ابن زيدون عندما يبادر بذكر سراب تراءى.[4]

بالفعل شخصية ولادة هي التي صنعت ورسمت الطريق لغزل غبن زيدون لتقلبها وغيرتها الشديدة،[5] وفي شعره بيان واضح لما اختلجته من حزن واسى عندما

1- حسناء أقدح، المرجع السابق، ص193.

2- شوقي ضيف، المرجع السابق، ص115.

3- ينظر أتيك نور حياتي،المرجع السابق، ص45.

4- خلود بنت عبد اللطيف الجوهر، المرجع السابق، ص27.

5- إحسان عباس، المرجع السابق، ص132.

ابتعدت عنه وجفته فعبر عن مشاعره وظل أمل دائم في عودتها،[1] إضافة لقوة شخصيتها التي كانت سببا في قوة تأثيرها ورغم ما قيل فيها من عدم تصاون ومجاهرة باللذات[2] لم نرى المجتمع ينبذها فلطالما كانت المعشوقة للكثيرين وشعرها يذاع للمجتمع وما قيل فيها من شعر كنعمة على الأدب فعاشقها ابن زيدون أبدع في استمالتها بأروع الغزل فكانت الحياة بالنسبة له.[3]

يقول ابن زيدون:

تَكَادُ حِينَ تُنَاجِيكُمْ ضَمَائِرُنَا أَنْ يَقْضِي عَلِيْنَا الْأَسَى لَوْلَا تَأَسِينَا.[4]

من خلال هذا البيت الشعري التالي تتمثل لنا مشاعر ابن زيدون المتصارعة ألبسها سحرا خاصا يؤخذ بمجامع القلوب ويصور لوعة الفراق بأسلوب مبدع، فأحدث هذا الشعر ضجة فرطبة وأضحى اسم ولادة طاغيا بالمطلق فيه أضف لذلك كونها أميرة أعطت للمرأة الأندلسية تصورا مختلفا واستثناءا فهي ابنة الخليفة الشاعرة التي كسرت مفهوم الطبقية الاجتماعية.[5]

1- ينظر أتيك نور حياتي المرجع السابق، ص77.

2- ينظر ابن بسام ، المصدر السابق، ص331.

3- أمال موسى، المرجع السابق، ص03.

4- شوقي ضيف، المرجع السابق، ص125.

5- ينظر أمال موسى ،نفسه ، ص06.

الفصل الثالث

نماذج من تأثيرات ولادة بنت المستكفي

المبحث الأول : قراءة في الرسالة الهزلية .

المبحث الثاني : تقييم لتأثيرات ولادة بنت المستكفي .

1 –قراءة في الرسالة الهزلية :

أ. دوافع انشاء الرسالة الهزلية

إن ابن زيدون عاش قصة حب فريدة، شحذت خياله الفني، وأثرت إبداعه وخياله وشعره، لقد شغف حبا بولادة بنت المستكفي آخر خلفاء بني أمية، لكن ابن عبدوس ظهر منافسا له على قلبها، إذا استطاع أن يستولي على قلبها مستغلا ظروفا سياسية شارك فيها ابن زيدون، كما ذكرنا آنفا، الشيء الذي جعل ولادة ة تميل إلى ابن عبدوس الذي لم تجد فيه ما كان لها في ابن زيدون، ولكن ذلك أثر عميقا في نفس ابن زيدون وتبلور في شكل قصائد عتاب ولوم وتذكير بالماضي [1].

إن هذه العلاقة التي جمعت بين ولادة بنت المستكفي وابن زيدون قد تعدت تأثيراتها وذاع صيتها لأن طرفاها من الطبقة الراقية بالمجتمع، تميزت تارة بالوفاء وتارة أخرى بالتجريح والذم، وفي كلتا الحالتان انعكس الأمر إيجابا على الأدب الأندلسي عامة شعرا ونثرا، خاصة ما تركه ابن زيدون من تراث أدبي عظيم كان مضمونه ولادة بنت المستكفي، بالفعل قد خلد تراث ابن زيدون اسم شاعرتنا بامتياز.

قد دفع التحرر بولادة بنت المستكفي أن تواعد ابن زيدون علنا وتكتب إليه في شعرها بجرأة بالغة، حيث تحدت الأعراف، فكانت لا تمانع في زيارة حبيبها ليلا، فبتعرفها عليه طفت عليها شخصية الحبيبة الهائمة العاشقة وأهملت صورتها كأميرة أموية من حرائر نساء قرطبة[2]، فولادة قد منحت لابن زيدون الأولوية في حياتها مما جعل تصرفات هذا الأخير تتميز بنوع من النرجسية والتعالي وحب السيطرة على ولادة[3]، وكانت الرسالة الهزلية أنموذجا واضحا في المبلغ الذي بلغه ابن زيدون من السيطرة على ولادة بنت المستكفي.

---

1 – ربيعة بن مخلوف ، الانسجام النصي في الرسالة الهزلية لابن زيدون، جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة، 2008، 2009م، ص 03.

2 – خالد الصوفي ، المرجع السابق، ص 115.

3 – حسناء اقدح ، المرجع السابق، ص2–9.

لقد كانت دروب السياسة وعرة وغير آمنة، فتشبعت الأحداث وكثر الوشاة، وهذا ما ساق ابن زيدون إلى غياهب السجن بتهمة التآمر على النظام، واستغل أعداء الشاعر ومنافسوه غروره وميله إلى التحرر والتهور، فأوغروا عليه صدر صديقه القديم ونجحوا في الواقعية بينهما، ولعل أهم سبب في ما آل إليه ابن زيدون هو الرسالة التهكمية التي بعثها على لسان ولادة لغريمه ابن عبدوس، فهذا الأخير لم يجرع السخرية التي تعرض ل فأعلن حربا على ابن زيدون وكسبها [1].

كان ابن زيدون كثير الشغف بولادة و هذا ما يتأكد لنا كلما تعمقنا في علاقتهما، وأكثر غزل شعره فيها وفي اسمها، لكن ابن عبدوس الوزير بقرطبة هام بها وكلف بعشرتها، فاجتمع بذلك الطرف والأدب، وكانت ولادة كثيرة العبث ولها نوادر طريفة[2].

بالفعل لقد أنتجت هذه العلاقة الغرامية بين ابن زيدون وولادة بنت المستكفي إرثا أدبيا وتاريخيا جمع الطرف والأدب، فكان المجتمع القرطبي يتابع أحداثها بتشوق واضح خاصة الرسالة الهزلية .

رسالة ابن زيدون عرفت بالرسالة الهزلية، كتبها على لسان ولادة بنت المستكفي إلى ابن عبدوس منافسه في حبها، ولم ترد عن ابن بسام في الذخيرة ومجهول من أطلق عليها اسم "الرسالة الهزلية"، ولعل الناس من بعد أن تعرفوا على أن رسالة هزلية تمييزا لها عن الرسالة الجدية التي كتبها ابن زيدون إلى ابن جهور من السجن، وابن زيدون قصد أن يحقق منها غاية عرض معارفه ونواحي ثقافته، وقد شغل الناس بهذه الرسالة[3]، وحقق مبتغاه وأحرج ابن عبدوس كثيرا من خلالها، وكان لها انعكاسات سلبية فيما بعد على إنهاء المسيرة السياسية لابن زيدون.

أما العلاقة بين ابن زيدون وابن عبدوس فقد جمعت بينهما صداقة استمرت سنوات طوال ثم فسدت تلك العلاقة بسبب ولادة بنت المستكفي، فأوغر ذلك صدر ابن

1 – ربيعة بن مخلوف ، المرجع السابق ، ص 04.

2 – جمال الدين بن نباتة المصري ، سرج العيون في شرح رسالة ابن زيدون ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، د.ط، د.ت ، ص 23.

3 – إحسان عباس ، المرجع السابق ، ص 124.

زيدون وأثار حفيظته، وحاول أن يكظم غيضه وألا يفقد صديقه دفعة واحدة، إلا أنه لابد للمصدور أن ينفث، فكانت الرسالة الهزلية التي بلغ فيها الإبداع النثري قمته، والغضب أوجه وغايته، فأضحت هذه الرسالة تنافس قصيدته الشعرية "أضحى التنائي".[1] وعدت انتاجا إبداعيا لهذا الشاعر الكبير وجيها وملهما حبه لولادة بنت المستكفي[2].

والباعث لابن زيدون على إنشاء هذه الرسالة أن ابن عبدوس لما سمع بولادة أرسل إليها امرأة من جهته تستميلها إليه، وتذكرها محاسنه ومناقبه، وترغبها في التفرد بمواصلته، فبلغ ابن زيدون ذلك، فأنشأ هذه الرسالة البديعة [جوابا له على لسانها]، فبلغت منه كل مبلغ، واشتهر ذكرها في الآفاق، وأمسك ابن عبدون في التعرض لولادة إلى أنه انتقل ابن زيدون إلى اشبيلية وأرسل هذه الرسالة لابن عبدوس عقيب رجوع المرأة من عند ولادة بنت المستكفي[3].

لقد تجاوز ابن زيدون و تعدى كبرياء ولادة بنسبه لها رسالته بالغ في إراد السخرية والألفاظ النابية فيها مما يدل على أن أين زيدون حاول إثبات سلطانه على شاعرتنا كما أظهر جانبا نرجسيا من شخصيته .

كانت نشأته ذات أثر بالغ في حياته، إذ نراه شابا بعيد الطموح، واسع الأهواء، يعتز بثرائه وحسبه ونسبه اعتزازا كبيرا ...هذه المطامح قادته إلى طلب ما يريد بإصرار طفولي وهذا ما عكسته رسالته الهزلية، وحبه لولادة –بحسب البعض– كان إثباتا لتفوقه على أبناء جنسه من الكبراء الذين عشقوا ولادة كان أكبر من اهتمامه بأمرها ، و الخوف على سمعتها و كرامتها ، فكيف يستطيع التحدث على لسانها في إراد رسالة مليئة بألفاظ نابية و هي سلسلة الأمراء [4].

1 – ابن زيدون ،المصدر السابق ص 145.

2 – خلود بنت عبد اللطيف الجوهر ، المرجع السابق ، ص11 .

3 – جمال الدين بن نباتة المصري ، المصدر السابق ، ص 24.

4 – حسناء اقدح ، المرجع السابق ، ص 199.

لقد كانت الغيرة هي الدافع الأساسي لكتابة الرسالة الهزلية، فقد وصلت إليه أخبار ولادة في مصادقتها للوزيع ابن عبدوس الملقب بالفار، فقال عدة قصائد لهجاء ولادة نفسها وإرضاء لذاته المجروحة، وطغت على الأبيات اللامبالاة المتعمدة والتشفي القاسي، فقد أخذت حسبه نفسه من ولادة ما تشتهي، ومن ثم تأبت على الباقي إلى هذا الصديق الجديد لها، ضمن إطار من التجريح الذي لا معنى يفسره سوى تهدئة نفسه المضطربة والمنكسرة أمام الخصوم[1].

ومن الأبيات التي تلخص ذلك قوله :

أَكَرَّمَ بِوِلَادَةِ ذَخَّرَا لِمُدَّخَرٍ لَوْ فَرَّقَتْ بَيْنَ بَيْطَارٍ وَ عُطَّارٌ

قالوا:

أَبُو عَامِرُ عَامِرُ أَضْحَى يَلُمْ بِهَا قُلْتُ الْفَرَاشَةَ قَــدْ تَدْنُو مِـنَ النَّارِ.
عيرتمونا بِأَنَّ قَدْ صَارَ يُخَلِّفُنَا فَيَمْنِ نَحْبٌ وَ مَا فِي ذَلِك مِنْ عَارٍ.
أَكُلَّ شَهِيَّ أَصَابَنَا مِنْ أصابيه بَعْضَا وَ بَعْضُ صَفْحِنَا عَنْهُ لِلْفَارِّ[2].

لم تجب ولادة ابن زيدون و لم ترد عليه بل التزمت الصمت لذلك اشتد غضب ابن زيدون، ووصل به الأمر للتحدث على لسانها مما استفز ولادة وأنهت علاقتها به لصالح ابن عبدوس نكاية بابن زيدون وغروره إضافة إلى ثقته الزائدة بكسب ولادة لأنه الشاعر والوزير والشاب عكس ابن عبدوس المتقدم في السن والبعيد عن صنعة الشعراء[3]، ما يلفت الانتباه هو عدم تسرع ولادة في الرد على ابن زيدون عكس ما عرفت به من تهور في بعض مراحل حياتها .

قد كان ابن زيدون مضطرب المشارب ساقته الأقدار لحب ولادة بنت المستكفي صاحبة الجمال و الأدب، و كان هو من الوزراء والقادة و الأدباء، لكنه سبق أقرانه مما أضرم عليه نار الحسد، وتزعم ذلك كما ذكرنا ابن عبدوس، لكن ابن زيدون راح

1 – حسناء اقدح ، المرجع السابق ، ص 240.
2 – ابن زيدون، المصدر السابق ، ص 510.
3 – إحسان عباس ، المرجع السابق ، ص 96.

يكيل له رسائل الهزل حتى أشبعه تقريعا وسخرية، حتى شعرا هاجمه ولم يستثني ولادة كذلك[1]، فحتى الزمن لامه في إنهاء العلاقة بينهما إذ يقول:

غيظ العدا من تساقينا الهوى ، فدعوا بأن نغص ، فقال الدهر آمينا [2].

لقد أورد ابن زيدون ألفاظا في شعره ونثره لا يمكن لأي فتاة مهما كان مستواها الاجتماعي أن تتقبلها ...فكيف بولادة ؟! سليلة العظماء، وقبلة الأنظار أن تتقبل هذه الأبيات والنثر المهينين، ولعل أي محاولة منها لإرضائها بعد ذلك ستبوء بالإخفاق، وهذا ما جرى فعلا إذ نبذته ولادة للأبد فما كان من ابن زيدون إلا أن تغزل بسواها ظنا منه أنها ستشعر بالغيرة لكنها لم تأبه له[3].

اتخذت ولادة بنت المستكفي قرارها بالانفصال عن ابن زيدون نهائيا في أعقاب هذه الرسالة الهزلية، واختارت أبا عامر لتمضي معه بقية عمرها، وطال عمرها وعمر أبي عامر حتى أربيا على الثمانين وهو لا يدع مواصلتها ولا يغفل علن مواصلتها، فكان يحمل كلها ويرفع ظلها، قد كان اختيار ولادة لابن عبدوس نكاية في ابن زيدون الذي بلغ منه الغرور مبلغه وكانت الرسالة الهزلية سببا رئيسيا في تحول مسار الأحداث لصالح ابن عبدوس وإنهاء علاقة حب رائعة جمعت ابن زيدون وولادة بنت المستكفي[4].

2- وصف الرسالة الهزلية :

إن فن كتابة الرسائل الأدبية بمنظراته ومفاخراته من أجمل الفنون للنثرية للما تحويه من مواقف إنسانية مستمدة من واقع ملموس ومعاش ومحسوس، وبما أن الأندلسيون زاوجوا في نثرهم ورسائلهم خاصة، بين الشعر والنثر، فقد جاء نتاجهم مشحونا بالعواطف والأحاسيس، ونثر ابن زيدون حسب النقاد والمؤرخين أدب جميل

1 - ابن زيدون ، المصدر السابق ، ص 05.

2 - شوقي ضيف ، المرجع السابق ، ص 155.

3 - حسناء اقدح ، المرجع السابق ، ص 205.

4 - انظر خالد الصوفي ، المرجع السابق ، ص 70.

نثرا وضرب الأمثال والإشارة إلى كبريات الأحداث التاريخية والاستشهاد بغرر الشعر لذلك كان مصدرا مهما في دراسة جوانب من شخصية ولادة[1].

ومهما يكن فقد كان ابن زيدون بارعا في صوغ الكلام سواءا أحاله شعرا أم أحاله نثرا، وكانت لديه قدرة بديعة في حوكه ونسجه مهما يكن الخيط الذي يحرك عليه أفكاره، وينسج حوله ألفاظه، ضعيفا أو واهيا لذلك استغل قدرته الأدبية في صوغ الرسالة الهزلية على لسان ولادة، لكن المجتمع القرطبي لم يدرك أنها على لسانها متى اعترضت هي نفسها عليها مما يبرز أن ولادة لم تقل شأنا على ابن زيدون في مجال الأدب ونظم النثر، كما استطاع ابن زيدون من خلال رسالته هذه أن يبرز تفوقه شعرا ونثرا على منافسة ابن عبدوس[2] .

لم تبقى لدينا من أثار ابن زيدون الكتابية إلا طائفة قليلة من رسائله الأدبية، فآثار ابن زيدون هي مرآة عاكسة، تعكس حياته وأدبه وفنه، ولابن زيدون ديوان كبير يكون قد جمع في حياته وصل إلينا في عدة نسج وأهم ما في القصائد والديوان غزله المستوحى من حبه لولادة، لذلك كان أدب ابن زيدون قاعدة أساسية لبناء الأحداث التي تدور حول ولادة و إبراز حقائق تاريخية تعتبر ركيزة مهمة في تسليط الضوء على أميرتنا[3] .

فالقارئ لهذه الرسالة يحس باللذة والمتعة، ويعود ذلك استخدام الشاعر لأسلوب مثير للضحك والسخرية فهو لا يكاد يصدق أن له منافسا في غرامه، مما أدى إلى بروز مشاعره الجياشة القوية، مع بغضه وكرهه لابن عبدوس، فقد استعان بذكر ألفاظ عجيبة وأسماء كثيرة من أسماء العرب، ويمكن أن نقول أن ابن زيدون بحبه الشديد

1- الصفدي خليل بن ابيك ، تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون ، تح أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ،د.ط، بيروت ، 1969 ، ص4 .

2 – شوقي ضيف ، المرجع السابق ، ص 48 .

3 – ربيعة بن مخلوف ، المرجع السابق ، ص 05 .

لولادة وغيرته عليها و بغضه الشديد لابن عبدوس أنتج لنا هذه الرسالة التي تفنن فيها وظهرت فيها قوة إبداعه وإنشائه للنصوص وعكست لنا أحداث تاريخية مهمة .[1]

مر بنا في غير هذا الموضع أن ابن زيدون كتب هذه الرسالة على لسان ولادة لابن عبدوس منافسه في حبها وهي رسالة طريفة من حيث الأسلوب الذي اتبعه فيها، إذ أجرى على لسان معشوقته تهكما و استهزاءا بغريمه، بلغ فيها شأوا بعيدا من الإجادة ، كانت هذه الرسالة مهمة في حياة ابن زيدون فقد ذكرنا سابقا أنها كانت سببا في سجنه ورحيله عن قرطبة مكرها، كما كانت سببا في إبراز جوانب من شخصيته المغرورة والنرجسية كما عكست قوة ولادة بنت المستكفي ورغبتها في إنهاء هذه العلاقة نظرا لتصرفات ابن زيدون اللامسؤولة أحيانا[2].

وهذه الرسالة يمكن اعتبارها خزانا ضخما للمعارف العلمية والتاريخية، حيث استدعى ابن زيدون سيلا من الأمثلة التاريخية ذكرها في رسالته، وجعل منها دعامة أساسية للإقناع بدونية ابن عبدوس جاعلا نفسه أغلى قيمة وأجل منصبا، كما تجرأ على الكلام بلسان ولادة، فلاقت هذه الرسالة صدى في المجتمع القرطبي وتناقلها الناس، فجعلت ابن عبدوس في موقف محرج وولادة بنت المستكفي كذلك[3].

قد استهزأ ابن زيدون كثيرا بابن عبدوس من خلال الرسالة الهزلية أو التهكمية، وهذا القلعة الشديدة وخوفه أن تميل حبيبته إلى ابن عبدوس، وكتبها على لسان ولادة ليبغضها، ويكف عن التعرض لها ويعرض قدراته الأدبية، وقد نالت هذه الرسالة من ابن عبدوس كل منال وشهرته جعلته ضحكة في المجتمع القرطبي، فأمسك من التعرض لولادة، حتى نكب الشاعر فطرح في السجن، وبهذه الرسالة حقق ابن زيدون مبتغاه في منافسه ولو آنيا[4].

1 – حسناء اقدح، المرجع السابق، ص 06.

2 – شوقي ضيف ، المرجع السابق ، ص 44.

3 – ابن زيدون،ديوان ابن زيدون ورسائله ،المصدر السابق، ص650.

4 – ربيعة بن مخلوف، المرجع السابق، ص 06.

ويشير البعض أنه ليس في الرسالة سخرية بالمعنى الدقيق إلا من جانب واحد هو التكثيرمن نسبة الأشياء المتباينة البعيدة المطلب وإثباتها في غير موضعها إلى شخص واحد، كأنما اجتمعت فيه ضروب المقدرة والمعرفة والإحاطة و الشمول، فأما أكثر الرسالة فإنه سباب محض ويبتذ غيض قائم، عكس قوة تأثير ولادة وتصرفاتها على حياة ابن زيدون ، و إن لم تكتب ولادة الرسالة بنفسها إلا أنها كانت سببا في إنشائها فلولاها لما وصلنا هذا الإرث الأدبي الضخم [1].

كانت تصرفات ابن زيدون انعكاسا لقرارات ولادة بنت المستكفي فهناك فترات قام بالتجني عليها و المغالاة في الإساءة إليها و القسوة في معاملتها ...لكن شهدت هذه العلاقة نوعا من اللين في بعض الأحيان على الرغم من تعجرف ابن زيدون ، فأخذ هذا الأخير يراوح بين اللين والقسوة [2]إذ يقول :

قَدْ نَالَنِي مِنْكَ مَا حَسَبِي بِهِ يَا مَنْ تَنَاهَيْتُ فِي الطافه فَجَفَّا [3]

فقد قام ابن زيدون في رسالته بإيراد أمثلة تاريخية عدة والقصد من ذلك الطعن في الصورة المثالية الوهمية لابن عبدوس الذي بتخيل ويزعم، والمحاسن والمناقب التي ذكرها على لسان ولادة من جهته من أل أن تستميل ولادة إليه وترغبها في التفرد به وبمواصلته، وأورد عبارة في تحقير الرجل، وتمعن في السخرية منه والتلاعب به، والتنفير منه، كادت هذه الرسالة أن تتسبب في عواقب وخيمة لولادة بنت المستكفي فسمعة هذه الأخيرة لم تكن جيدة في المجتمع القرطبي[4].

وتنطلق ولادة – فالرسالة على لسانها –تصف رسوله إليها وما زينت حتى خيلت لها أنه جمع كل الفضائل من جمال وقوة وسلطان وحسن منادمة وشجاعة وحلم وكرم، فهو المثال الأعلى في الأخلاق والثقافة، وكل ذلك يجري مجرى التهكم ثم ينال منه بالسباب والشتم، فالشرق والغرب لا يجتمعان والخبيث والطيب لا يجتمعان ولا

1 – احسان عباس، المرجع السابق، ص 125.

2 – حسناء اقدح، المرجع السابق، ص 207 .

3 – ابن زيدون،ديوان ابن زيدون ورسائله، المصدر السابق، ص 83.

4 – آدي ولد آب، الرسالة الهزلية، قراءة في الوجه الآخر لابن زيدون، منشورات جامعة محمد الخامس، دط، د.ت، ص 298.

يستويان، فتعود فتبرق وترعد " فالنار ولا العار، والمنية ولا الدنية، والحرة تجوع ولا تأكل من ثديها وكل هذا موجه إلى ابن عبدوس[1].

وتضيف ولادة: "ولا شك أنها قلتك إذ لم تضني منك، وملتك إذ لم تفر عليك، فإنها أعذرت في السفارة لك وما قصرت في النيابة عنك، زاعمة أن المروءة لفظ أنت معناه، والإنسانية لفظ أنت جسمه، قاطعة انك انفردت بالجمال واستأثرت بالكامل، واستعليت في مراتب الجلال، واستوليت على محاسن الخلال، حتى خلت أن يوسف – عليه السلام– حاسنك وأن امرأة العزيز رأتك فسلت عنه[2].

يحاول ابن زيدون من خلال إيراد هذا الكلام على لسان ولادة بنت المستكفي القناع بدونية ابن عبدوس، والتهكم به فشتان بين ابن عبدوس وجمال يوسف عليه السلام، وهناك سباب واضح لابن عبدوس على لسان ولادة بقلم ابن زيدون ليجعله يكرهها ويبتعد عنها، بالفعل قام ابن زيدون بالطعن في شخص منافسه والتحقير به للتنفير منه[3].

وقد أطال فيها ما شاءت قريحته الخصبة وما سعت ذاكرته العجيبة من أخبار العرب وأشعارها وأمثالها وما احتوت ثقافته الواسعة من وافر المعارف وعجيب المقارنات وأفحش فيها ما مده لسانه السليط، ومعجمه البذيء، حتى إن ولادة نفرت مما وضع فيهلا على لسانها من نابي اللفظ، وفاحش التعبير و مقذع اللفظ والهجو وقد شرقت الرسالة وغربت وعدت مثالا لبلاغة الرد للأندلس في عصر ملوك الطوائف لم تأثر على الإبداع الفني[4].

يقول ابن زيدون على لسان ولادة: هل يأست إذ أقول: زوج من عود خير من قعود، ولعمري لو بلغت هذا المبلغ لارتفعت عن هذه الحطة، ولا رضيت بهذه الخطة، فالنار ولا العار ولا المنية ولا الدنية، وفي هذا الكلام إهانةاتكما واضحة لولادة بنت

1 – شوقي ضيف ، المرجع السابق، ص 45.

2 – جمال الدين ابن نباتة المصري، المصدر السابق، ص 03.

3 – ابن زيدون، ديوان ابن زيدون ورسائله، المصدر السابق، ص 650.

4 – ربيعة بن مخلوف ، المرجع السابق، ص05.

المستكفي، وهي الأميرة و معشوقة الكثير من كبراء الدولة والشعراء ومحل تنافسهم وتوددهم أن توصف بكلام كهذا والأسوأ أن يقال على لسانها، كما فيه احتقار لابن عبدوس بوصفه بدونية، ويصورها كأنها غير مرغوب بها وقصدها ابن عبدوس وحده وإن كان كذلك فهي لن ترضى به[1].

ويستدرك قائلا:

فَكَيْفَ وَ فِي أَبْنَاءِ قَوْمِيِّ مُنْكِحِ وَ فَتيَّانِ هَزَّانِ طُوَّالَغرانقة [2].

هذا البيت يجمل أكبر دلالة على وجود غيره أولى منه، وهذا ما يؤثر في نفسية خصمه ويشعره بوجود منافسيه له وأعداء، والمصيبة الكبرى التي تصيبه هي جمال أولئك الفتيان، فعبارة الطوال الفرانقة تدل على السباب البيض الطوال واستخدامها لينزل منافسه منزلته، ويقنعه بالابتعاد عن محبوبته[3]، ويصور ولادة على أنها تميل للشاب دون الشيخ –كأي امرأة– مما جعل ولادة تعرض عن ابن زيدون عقابا له على إيراد مثل هذا الحكم عليها[4].

ويضيف ابن زيدون قائلا على لسان ولادة:

وهلأ علمت أن الشرق والغرب لا يجتمعان أو شعرت أن المؤمن والكافر لا يقتربان[5]، وهذا تعجيز منافسه، وبذلك يؤثر فيه ويمنعه من التفكير للعودة لولادة، إذ أنه يحبطه ويقطع له الأمال ويخبره بأنه بعيد كل البعد عن محبوبته، وأنه لا يمكن الفوز بها، في مجمل حديثه نجده يسخر من منافسه فيحاول بشتى الطرق النيل منه وإبعاده عن ولادة، إن هذه الرسالة الهزلية ما هي إلا انعكاس لنفسية ابن زيدون المضطربة والقلقة من فقدان محبوبته وإنهاء علاقتهما[6].

1 – جمال الدين ابن نباتة المصري، المصدر السابق، ص 03.

2 – آدي ولد آب، المرجع السابق، ص 230.

3 – ربيعة بن مخلوف، المرجع السابق ، ص 06.

4 – إحسان عباس، المرجع السابق، ص 115.

5 – جمال الدين ابن نباتة المصري ،نفسه ، ص05.

6 – ربيعة بن مخلوف، نفسه، ص 08.

نالت هذه الرسالة شهرة واسعة وإن كانت إضافة مهمة لتاريخ الأدب الأندلسي، فهي مصدر هام لدراسة طبيعة شخصية ولادة بنت المستكفي وابن زيدون، فهذا الأخير أظهر جانبا نرجسيا طفوليا من شخصيته جعلته محط نقد لاذع وإحجاب باهي معا، وصمت ولادة على الرد أدبا عليه ليس من عجزها على نظم النثر مثالا له وإنما لإحباطها الشديد من تصرفات ابن زيدون واغتراره بنفسه وثقته الزائدة ببقائه جنبه برغم تصرفاته أمامها خاصة عندما طالب جاريتها بإعادة الغناء في حضرتها[1].

تحدث ابن زيدون في رسالته على أنه حبيب ولادة، وهذا دليل حبه لها وشغفه الشديد بها، وتيقنه الشديد من مبادلتها له المشاعر وكما يدل كلامه على اغتراره بهذا الحب وافتخاره به[2]، حتى وأبدت حققت رسالته مبتغاها آنيا، لكنها فيما بعد قد كانت منعرجا حاسما في ترتيب الأحداث ففي أعقابها دبر ابن عبدوس مكيدة لهذا الشاعر أفقدته منصبه فخرج من قرطبة مكرها قاصدا اشبيلية وهناك بكى ألم الاغتراب وجفاء ولادة بنت المستكفي[3].

2- تقييم لتأثيرات ولادة بنت المستكفي :

1- ولادة بنت المستكفي بين التحرر والتحلل:

أصبحت صورة ابن زيدون وولادة بنت المستكفي طاغية على ما سواها من قصص الحب والغزل الأندلسي، بسبب أنها علاقة ارستقراطية بين اثنان من السادة أحدهما مخزومي النسب وصاحبته أموية من بيت الخلافة لذلك نالت قصتهما شهرة بالغة واكتسبت تأثيرا هاما[4]، إضافة إلى شهرة ابن زيدون ومكانته الأدبية، فمنذ صغره تهيأ له عوامل التفوق والنبوغ فقد كان ينتمي لأسرة واسعة الثراء هيأت له النبوغ في العربية والنحو والشعر والأدب فأضحى شاعرا الأندلس الأول[5].

1 – ينظر حسناء اقدح، المرجع السابق، ص13.

2– ربيعة بن مخلوف، المرجع السابق، ص 09.

3 – ينظر خالد الصوفي، المرجع السابق، ص105.

4 – احسان عباس، المرجع السابق، ص 130.

5 – ربيعة بن مخلوف، نفسه، ص 06.

يشير الكثيرين أن ابن زيدون لم ينظم كل شعره في ولادة ومن الظلم نسب لها جميع إبداعات هذا الشاعر وكأن حياته كانت تدور حول هذه الأميرة الشقراء[1]، لا ننفي أن ابن زيدون نظم منذ سن المراهقة الشعر الغزلي ووقع في بعض الحسان، قبل أن يقع في حب من سلبته فوائده حتى آخر حياته والقصد ولادة بنت المستكفي، فلم يكن الشعر الغزلي الذي نظمه ابن زيدون في صباه صادرا على عاطفة عميقة حقيقية لذلك لم يكن جميلا مؤثرا كالشعر الذي نطق به بعد عشقه لولادة[2].

تمتعت ولادة بجرأة كبيرة في الرد على شعر ابن زيدون الموجه لها وبلغ بها التحرر إلى أن تتغزل به وتبادله الإغراء، وتحاول إبراز مفاتنها ومحاسنها بل بلغ بها الشوق والرغبة الملحة فتذهب إليه زائرة، لذلك لم يتقبل المجتمع طبيعة شخصيتها خاصة وأنها أميرة، ولا ينبغي على أمثالها أن يصدر هذا الكلام، لكن إن نظرنا إلى الأمر من وجهة نظر أخرى فإن ولادة كانت رمزا لثورة اجتماعية وثقافية زادت الأدب الأندلسي غني[3].

إن التأثر والتأثير الذي كان بين أميرتنا الأندلسية ومحيطها أو المجتمع القرطبي عامة لابد من الإشارة إليه، فلا يمكن تحميل ولادة وزر الانحلال الخلقي الذي ساد في عصر ملوك الطوائف، كون أن طبيعة الحياة الثقافية والاجتماعية تميزت بنوع من الحرية المطلقة، فقد أسرف الناس في متعهم ومسراتهم وتفننوا في اقتناص اللذات، فانتشرت مجالس اللهو والطرب وساءت الأخلاق، صحيح أن ذلك دفع عديد الشاعرات لاستخدام ألفاظ سوقية لكن المجتمع بدوره تقبلها[4].

لقد كان الانحلال الخلقي سمة مشتركة بين ملوك الطوائف إذا استثنينا بني جهور في قرطبة كون هؤلاء الحكام قرروا إغلاق مجلس ولادة بسبب انتشار الخمر فيه على حسب رأيهم، لأن بعض المؤرخين يرجعون سبب إغلاقه لمخاوف سياسية من الأميرة الأموية–كما ذكرنا سابقا– بدليل أن قاضيهم أبو بكر بن ذكوان كان قاضيا ذا وقار،

1 – احسان عباس، المرجع السابق، ص 133.

2 – خالد الصوفي، المرجع السابق، ص 70.

3 – يونس هاشم، المرجع السابق، ص 05.

4 –حسناء اقدح ، المرجع السابق، ص 15.

حتى إذا جنه الليل أقبل مع صحبه على مجالس اللهو والمجون وليست ولادة بنت المستكفي سباقة لذلك [1].

اختلف المحللون في تحليل شخصية ولادة بنت المستكفي، لكن يبقى الفضل كبيرا لأشعار ابن زيدون في تقريب صورة هذه المرأة، لأن ما وصلنا من أرثها الثقافي قليل جدا ولا يفي بالغرض، لذلك اجتهد المؤرخون في فهم طبيعة كلامها وتصرفها حيث نسب إليها البعض أنها مصابة بالسادية والتعالي عن الناس وهناك من اتهمها بالشذوذ الجنسي وميلها للبنات لكن هذه الأحكام ليست دقيقة، فولادة كانت امرأة متحررة لم تضع حدودا في تعاملها مع الجنس الآخر، مما ساهم في ازدياد الشكوك حولها وقذفها بهذه التهم، كما أن شعرها كذلك حمل ألفاظا نابية، كل هذه العوامل ساعدت على تشويه صورتها في المجتمع[2].

بالرجوع إلى شعر ابن زيدون وكيفية تصويره لولادة بنت المستكفي فقد أشار في عدة مواضع إلى تحررها الكبير إذ قال:

هي الماء يأبى على قابض، و ذلك لدلالة على عدم وفائها لشخص واحد وميلها للعيش بدون قيود، لكن كان هذا الوصف في أعقاب بداية علاقتها مع ابن عبدوس، لذلك لا يمكن الجزم بصحة هذا القول لأنه صدر عن ابن زيدون وهو في عز غضبه منهما، ويمكن تصنيفه على أنه تجريح و هجاء لاذع لشاعرتنا بعيدا عن الموضوعية، فعواطفه هي من تحدثت لذلك لم يكن منصبا في إزاء هذا الوصف[3].

ما يدعم تحليلنا السابق هي قصيدته النونية التي قالها في ولادة بنت المستكفي، فالشاعر بقى نفسه وهو ابن زيدون لكن ألفاظه تغيرت فبعد هجاء لاذع لشاعرتنا أصبح شعره يتسم بالاستعطاف والبكاء على ذكرها، فيصفها تارة بأنها البحر الذي يصعب خوض أغواره، لكن نرجسيته لا زالت طاغية على أشعاره بتحميل ولادة سبب الفراق، ويتضح جليا مدى تأثيرها على حياته، فنجده في أغلب قصائده إما مترددا

1 – ينظر شوقي ضيف، المرجع السابق، ص 09.

2 – احسان عباس، المرجع السابق، ص 110 .

3 – حسناء اقدح، المرجع السابق، ص 131.

خائفا أو واثقا منها لأن ولادة اتسمت بالقوة وغلب عليها الوفاء لنسبها لذلك رجحت كفة ابن عبدوس[1].

إن ما بعكس قوة ولادة بنت المستكفي هو قوتها على إنهاء العلاقة مع ابن زيدون في أعقاب الرسالة الهزلية رغم تذلله لها بكافة الطرق حتى وهو في اشبيلية، ويرى الكثيرون أن ولادة هي من كادت لمحبوبها وكانت من دبر حادثة سجنه، هذا ليس تضخيما من دور ولادة بقدر ما هو إبراز لقوة تأثيرها على سير الأحداث، هذه القوة فسرها الكثيرون على أنها تحرر وصل حد الانحلال[2].

ليس بأيدينا ما يدل دلالة قاطعة على السنة التي التهب فيها هذا الحب، و لكن من المؤكد أنه لم يسبق وفاة المستكفي (414 – 416 هـ).. لم تفتح أبوابها للشعراء والأدباء إلا بعد زوال دولته بل نظن ظنا أنها لم تفتح هذه الأبواب إلا بعد سقوط الدولة الأموية سنة 433هـ، ومعنى ذلك أننا نرجح أن يكون حب ابن زيدون لولادة تأخر إلى عصر أبي الحزم جهور حين هدأت قرطبة، فأصبح فيها ما يكفل الفرص لالتقاء العشاق في القصور والرياض [3] .

مهما يكن فقد شعرت ولادة أنها مسؤولة عن نفسها بعد وفاة والدها واندثار حكم أجدادها، لم تتأثر بذلك علانية ولم تضعف وتتوارى عن الأنظار بل استكملت مجد بني أمية ثقافيا فلولاها لما سمعنا بسيرة والدها الذي كان أضعف حلقة في الأحداث السياسية في قرطبة عكس ابنته.

إن المتتبع لشعر ابن زيدون يجد أغلبه يدور حول الغزل وأحيانا أخرى يتسم بالمدح إما لابن جهور في قرطبة أو لبني عباد باشبيلية، بالفعل قد انشغل هواه واحتار عقله، فقد أخرس لسانه، وأسكت ضميره وأغمض عينيه عن قضية وطنه، فلا سقوط المدن أفزعه، ولا ضياع الوطن تدريجيا أقلقه، لقد ضل طيلة حياته يبحث عن منصب

1 – ينظر خلود بنت عبد اللطيف الجوهر، المرجع السابق، ص 07.

2 – ينظر أمال موسي محمد نور، المرجع السابق، ص 02.

3 – شوقي ضيف، المرجع السابق، ص 33.

يتبوؤه، ومنافس يسخر منه[1]، هذا ما توصل إليه بعض المؤرخون، لذلك لا يمكن أن نلوم ولادة في تصرفاتها نحوه، فلولا شخصيتها القوية لجعلها ابن زيدون محط سخرية كما فعل بابن عبدوس.

لابد من أن نتحلى ببعض من الإنصاف في حق هذا الشاعر القرطبي الكبير فقد قال أحد الأدباء أنه من لبس البياض، وتفقه لشافعي، وروى شعر ابن زيدون فقد استكمل الظرف، ورغم توتر العلاقة بينه وبين شاعرتنا فيمكن القول أن ولادة في حبها و هجرها للشاعر كانت دافعة إلى ولادة قصائد متميزة[2].

2-انعكاس صورة ولادة على طبيعة المرأة الأندلسية :

وصفت ولادة بأنها شاعرة جريئة بقولها الماجن الذي ساعد على شيوع رذائل الأخلاق، كما اتصفت بجمال صوتها وممارستها صنعة الغناء وبذلك تلاشت صورة المرأة العفيفة في المجتمع الأندلسي لتأثره بقيم جديدة كانت أقرب لطابع النصارى، ويرى هذا التيار أن سبب ذلك هو شيوع هذه الثقافة كان سبب الجواري الإسبانيات، فأضحت المرأة مشابهة لهم تماما في الأندلس وصارت تقول شعرا غزليا صريحا يتقبله المجتمع وهذا ما يبرز مكانة المرأة المرموقة داخله[3].

قد أشار الكثير من المؤرخين الابتذال حجاب ولادة، بل أكدوا أنها أول امرأة في الأندلس تخرج مكشوفة، مما دعم القول بأنها سبب في نشر أخلاق دخيلة على المرأة الأندلسية، كما أن كتابتها شعرا ما جنا على أحد أطراف ثوبها أو تاجها زاد النقد حولها، إن هذه التصرفات جعلت البعض يصنفها على أنها امرأة ذات أهواء وغير متصاونة ولا تعكس بالضرورة كل نساء الأندلس، فهي حالة شاذة في المجتمع، ساعدت بعض العوامل في تكوين هذه الشخصية[4].

1 – وهب رومية، المرجع السابق، ص 10.

2 – خلود بنت عبد اللطيف الجوهر، المرجع السابق، ص 17.

3 - يونس مجيد، المرجع السابق، ص 06.

4 - خالد الصوفي ، المرجع السابق ، ص 70.

بناءا على ما سبق فإن الغناء أو الموسيقى بشكل عام قد انتشرت في الأندلس وشهدت وفرة في المغنيين مما أدى إلى ازدهار مجلس خاص به لا يكاد يمر يوم دون أن يقام فيه الغناء، وشملت العامة أيضا، فقد كانت مدينة مالقة إذا ما جن الليل قامت، أوتار العيدان والمعازف من كل ناحية، فهذه الوفرة التي واكبتها وفرة الأموال أدتا إلى الإسراف والتبذير في إقامة الحفلات، لذلك فهذا التردي الأخلاقي لا يمكن أن تحمله ولادة بنت المستكفي وحدها، فمن الإجحاف الحكم عليها بذلك[1].

أشار ابن زيدون أن ولادة قد أرخصته ووضعته بعدما أغلته ورفعته، حيث بعد خروجه من السجن، وهو يكاد يموت كمدا، فالعاشقة قد طارت عن عش عزامها إلى الأبد وأصبح من المستحيل النفور إليه، ومع ذلك أمسك قيثارته و تغنى عليها ألحانا شجية اعتصر فيها قلبه وفؤاده، أشفق عليه أبو الوليد ابن جهور، فقد ألقى إليه بمقاليد دولته، وجعله وزيرا ومستشارا له وعينه سفيرا بينه وبين ملوك الطوائف لكن ذلك لم يمنع حنينه لشاعرتنا الأندلسية[2].

بناءا على ما ذكرناه يمكننا الاختلاف في مدى تعميم تحرر ولادة على كافة نساء الأندلس، لكن يمكننا الاتفاق على أن قدرة المرأة في الأندلس على الرفع من مكانة أي شخص والحط منها يمكن تعميمها عليهن.

فلا يبلغ بنا الظن على أن ولادة كانت انعكاس لصورة المرأة عامة في الأندلس، فمن غير المعقول أن تكن كلهن مشهورات وذوات أدب وعلم، فقد انتشرت الأمية في وسطهن وهذا لا ينقص من رقي المجتمع الأندلسي، فطبيعة نساء العامة عكس مثيلاتهن من الخاصة إلا أن خروج المرأة عموما في ذلك المجتمع كانت له سلبيات وإيجابيات خاصة وأن هذا الأمر دخيل على المجتمع الأندلسي[3].

1 – فايز عبد البني فلاح العتبي ، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس هجري ، دار البشير للنشر و التوزيع ،د.ط، 1989، ص 49.

2 – شوقي ضيف ، المرجع السابق ، ص 35.

3– محمد سعيد الدغيلي، المرجع السابق، ص 49.

قد وردت عدة أسباب وتحليل في نفور ولادة بنت المستكفي من ابن زيدون، إلا أن البعض أرجح ذلك إلى نفسها الفائرة وطبيعتها المتقلبة، فهي التي انقلبت على ابن زيدون وتعلقت بابن عبدوس، وهذه القطيعة أعادت ابن زيدون غريبا كما كان، لكنه أصر على... والتشوق إليها، نادما على ما فعله من ضربها والتجريح في شخصها، مما يعكس أن ولادة بنت المستكفي امرأة استثناء في المجتمع الأندلسي بشخصيتها الفريدة[1].

إذا افترضنا أن ولادة لا تفي بالعهد، وأنها تعكس صورة المرأة الخائنة، فلماذا أصر ابن زيدون على وصلها مستجمعا شاعريته ومفجرا عواطفه في قصيدته النونية، التي صارت أغنية العاشق، وسلوة المحزون، وأمل المحب، ورجاء اليائس، وهمسة الحائر، ودمعة الباكي، حيث،[2] يقول:

فَلَوْ أَسْتَطِيعُ طَرَتْ إِلَيْكَ شَوْقًا وَ كَيْفَ يَطِيرُ مَقْصُوصُ الْجَنَاحِ[3]؟

لكن أخفق ابن زيدون في استمالة قلب ولادة وأصرت هي الأخرى على هجره والبعد عنه، فتصوير ابن زيدون لولادة المرأة كانت تبعا لظروف علاقته بها.

إن ما طغى على صورة ولادة بنت المستكفي هو جرأتها خاصة في التجاوب مع الرسائل الغرامية لابن زيدون، خاصة في أنها ضربت له موعدا ليلا، وهو ما ساهم في إبرازها على أنها امرأة متحررة حد المجون، وبرغم أن هذا الشعر كان ثورة أدبية هامة في تاريخ الأندلس إلا أنه ساهم في تشويه صورة ولادة، خاصة مع استخدام ألفاظ جريئة لم يسبقها إليها نساء عصرها ونسب إليها الكثير من المؤرخين أنها متصدرة هذا المشهد في هذا النوع من الشعر[4].

استطاعت ولادة بنت المستكفي في إبراز صورة نوعية جديدة من نساء الأندلس، فهي امرأة من صلب الملوك، إلا أنها كذلك تعد ابنة جارية اسبانية نشأت على يد

1- أتيك نور حياتي، المرجع السابق، ص 78.

2 - حسناء اقدح ، المرجع السابق، ص 82.

3- ابن زيدون، ديوان ابن زيدون ورسائله، المصدر السابق، ص 110.

4 - ينظر محمد مولود خلف المشهداني، المرجع السابق، ص 40.

جواري كعادة أهل الخاصة، أو الطبقة الخاصة، وبتصرفاتها قلبت موازين التصنيف الاجتماعي، فهي الأميرة العاشقة والشاعرة الجريئة التي ساهمت في التأريخ لدولة الجهاورة ثقافيا بمنتداها الأدبي وسياسيا بحكم علاقتها مع ابن زيدون وابن عبدوس واجتماعيا كونها امرأة أدخلت نمطا جديدا في اللباس[1].

بالفعل طفت شهرة ولادة بنت المستكفي على شهرة للكثيرين في قرطبة، حتى على الساسة وأبرزهم الجهاورة الذين احتلوا الحكم في قرطبة عندما انتخبهم الناس على أساس إلغاء فكرة الخلافة، لتكون البلاد برئاسة واحد من أهل الرأي في إطار الحكم الجماعي[2]، ورغم ذلك لم يستطيعوا الوصول لشهرة ولادة، بحق كانت هذه المرأة استثناء في تاريخ قرطبة في عصر ملوك الطوائف لطبيعة شخصيتها المميزة.

تقدمت ولادة نساء عصرها في إنشاء مجلس أدبي كان ملتقى الشعراء من كلا الجنسين، وبذلك جعلت من بيتها منتدى علمي، فكانت ولادة رائدة في هذا المجال بل سبقت نساء عصرها في ذلك ونافست نساء أوروبا في القرن 18 م، فكانت ولادة بالفعل السباقة لهذا الأمر، وبناءا على ذلك قد تأثر المجتمع والثقافة وحتى السياسة بهذا الأمر فطبيعي أن تحمل شخصيتها السلب والإيجاب في نفس الوقت[3].

وتتفق المصادر الأندلسية على أن ولادة بنت المستكفي كانت واحدة من أهم الشاعرات في قرطبة، لكن لم ينسب لها سوى بضعة أبيات شعرية ومعظمها حول علاقتها بابن زيدون[4]، وتستفيض هذه المصادر في تناول سمعة ولادة وما إن كانت امرأة فاضلة أم لا، نظرا لما كانت تعقده من صالونات أدبية تدعو لها الشعراء الذكور، وانصب اهتمام هذه الدراسات على حياة ولادة العاطفية وسمعتها أكثر من الاهتمام بشعرها[5].

---

1 – ينظر خالد الصوفي، المرجع السابق، ص 71–81.

2 – ينظر لسان الدين ابن الخطيب، أعمال الأعمال فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من كلام، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 171 – 172.

3 – محمد سعيد الدغيلي، المرجع السابق، ص49.

4 – ينظر خالد الصوفي ، المرجع السابق ، ص 70.

5 –ينظر إحسان عباس ، المرجع السابق ، ص 115.

خاتمـــة

خاتمة:

إن الآثار السلبية لعصر ملوك الطوائف تكاد تطغى على إيجابياته، فالتفكك السياسي والانحطاط الاقتصادي والتدهور العسكري، كانوا سمة واضحة لهذه الفترة التاريخية للأندلس باستثناء الوضع الثقافي الذي ظل صامدا في وجه هذه الخيبات، فلم يزل الإبداع الأندلسي ينبض فنا وجمالا متحديا الصعوبات محاولا الإبقاء على صورة الأندلس أرض الأدب و العلوم ومولد كبار المبدعين في جميع المجالات.

اهتم ملوك الطوائف بالعلوم جميعا خاصة الأدب، لم يمنع الانحطاط السياسي الذي ميزهم من فتح مجالس اللهو والأنس التي برغم سلبياتها حفظت لنا إرثا ثقافيا مميزا، فكان الأندلسي عامة يصدح بالشعر ويتغنى به ويبقى الشيء الوحيد الذي عرف ازدهارا كبيرا، وهذا راجع لعامل مهم هو افتتان هؤلاء الملوك بهذه الصنعة والعمل على مساعدة ممتهنيها.

عرفت قرطبة شعراء كثر وأهمهم على الإطلاق في فترة ملوك الطوائف الأميرة ذات البيت الأموي سليلة بيت الخلافة، ولادة بنت المستكفي، كانت امرأة بشخصية قوية مزجت الجرأة بعنوان الشاعرة، و كان لتنشئتها دور بارز في تكوين شخصيتها، وبها عرف والدها وهذا أحدث استثناء في تاريخ الأندلس .

إن شخصية ولادة حملت بين طياتها تناقضات وهذا راجع الى طبيعة تنشاتها ، فرغم شخصية والدها الهشة اكتسبت منه صفات الاستهتار ومن والدتها عادات اجتماعية تخص النصارى، لذلك لم تهتم بابتذال حجابها والمجاهرة بلذاتها، كما أن الحرية التي تمتعت بها في

زمن الملوك الطوائف الذي كان سمته الأساسية التحرر، كل هذه العوامل ساهمت في بلورة شخصيتها الفريدة .

لعبت أميرتنا الشاعرة دورا مؤثرا في جميع المجالات فلولاها ما كان غزل شاعر قرطبة الكبير ابن زيدون وما كان بكائه ولا استعطافه عليها فدرره الشعرية المميزة قيلت في حسناء قرطبة، كما أن شعرها وان تخللته بعض المفردات النابية يظل إرثا مميزا لا زال يحكي جرأتها وإبداعها وتميزها.

كانت ولادة مساهمة في الجانب السياسي لدرجة قدرتها على تغيير مسار الأحداث بطريقة كبيرة وهو ما حدث فعلا، فبسببها عزل صاحب الوزارتين مما أثر في بلاط بني جهور، لذلك برزت شخصيتها وأضحت ذات طابع مهم و دور فعال .

لقد ساهمت ولادة بشكل مباشر في الحياة الثقافية بقرطبة ومن اهم نماذج ذلك الرسالة الهزلية التي كتبت على لسانها من طرف ابن زيدون، وان نسبت بلاغتها و ابداعها الأدبيين لابن زيدون فان المجتمع القرطبي اقتنع ان الرسالة كتبتها ولادة مما يبرهن أن شاعرتنا لها القدرة على مُجارات هذا الاديب الوزير أبو الوليد، وبرغم كل ذلك فان علاقتهما كانت اثراءا للتاريخ و الأدب شعرا و نثرا .

ان انجازات ولادة بنت المستكفي تُحسب للمرأة الأندلسية عموما، نظرا لما تمتعت به هذه الأخيرة من جودة في التعليم و حرية في المجتمع ، لكن رغم كل ذلك تبقى بعض تصرفات هذه الأميرة خارجة عن نطاق العادات التي ألفها المجتمع القرطبي بحكم تقاليده المحافظة .

الملاحق

الـمـلـحق : 01

أمّا بعدُ ، أيُّها المُصابُ بعقْلِهِ ، المورَّط بجهلِهِ ؛ البَيِّنُ سَقَطُهُ ، الفاحِش غَلَطُهُ ؛ العاثِرُ فى ذَيْل اغترارِهِ ، الأعْمَى عن شمسِ نَهارِهِ ؛ السَّاقطُ سُقوطَ الذُّباب عَلَى الشَّراب ، المتهافتُ تهافتَ الفَراشِ فى الشِّهاب ؛ فإنَّ العُجْبَ أكذبُ ، ومعرفةَ المرءِ نَفْسَهُ أصْوبُ . وإنَّك راسلتَنِى مستهدياً من صلتى ماصفرتْ منه أيدِى أمثالِكَ ، متقصِّياً من خُلَّتِى لما قُرِعَتْ دُونَه أُنوفُ أشكالِكَ ، مُرْسِلاً خليلتَك مرتادةً ، مستعملاً عشيقتَك قوّادةً ، كاذباً نفسَك أنَّك ستنزل عنها إلىَّ ، وتحلف بعدها علىَّ

ولستَ بأوّلِ ذِى هِمَّــةٍ دَعتْهُ لِمَا لَيْسَ بالنَّائلِ

* * *

ولا شكَّ أنها قلَتْكَ إذْ لم تضِنّ بكَ ، ومَلَّتْك إذ لم تَغرَمْ عَلَيْكَ ، فإنَّها أعْذَرَتْ فى السِّفَارةِ لَكَ ، وما قَصَّرَتْ فى النِّيابَةِ عَنْك ، زاعمةً أنّ المروءةَ لَفْظٌ أنتَ مَعْنَاهُ ، والإنسانيّةَ اسمٌ أنتَ جِسْمُهُ وَهَيُولاَهُ ، قاطعةً أنّك انفردتَ بالجمال ، واستأثرتَ بالكَمال ، واسْتَعْلَيْتَ فى مَراتِبِ الجَلاَلِ ، واستولَيْتَ على مَحاسِنِ الخِلاَل ، حتى خِلْتَ أنَّ يُوسفَ ـ عليه السلام ـ حاسَنَك فغضَضت مِنْهُ ، وأنَّ امرأةَ العزيز رَأَتْكَ فَسَلَتْ عنه ، وأنَّ قارونَ أصابَ بعض ما كَنَزْتَ ، والنَّطِفَ عَثَرَ على فضلِ ماوَكَزْتَ ، وكسرى حمل غاشينَك ، وقَيْصَرَ رَعَى ماشيتَك ، والإسْكندَر قَتَل دارَا فى طاعتِك ، وأردشيرَ جاهد مُلوكَ الطّوائف لخروجهم عن جماعتك ، والضّحّاك استدعَى مسالمتَك ، وجَذيمةَ الأبرش تمنّى منادمتَك ، وشِيرين قد نافَسَتْ بُورَان فيكَ ، وبلقيس غايرت الزَّبّاء عَلَيْكَ . وأنَّ مالكَ بن نُوَيرة إنَّما ردِفَ لَكَ ، وعُرْوة ابن جعفر إنَّما رَحَلَ إليكَ ، وكُلَيب بن ربيعة إنَّما حَمَى المرعَى بعزّتِكَ ،

وجَسَّاساً إنما قتله بأَنفتِكَ ، ومُهلهلا إنّما طلبَ ثأرَه بهمّتك ، والسَّمَوْءَلَ إنَّما وَفَى عَنْ عَهْدِكَ ، والأَحْنَفَ إنَّمَا احْتَبَى فِي بُرْدِكَ ، وعَامِرًا إنما جاد بوفْرِكَ ، ولَقِيَ الأضياف ببِشْرِكَ ، وزيد بن مهلهل إنما ركب بفَخِذِيْكَ ، والسُّلَيك ابن السُّلَكَةِ إنَّما عدا على رجليك ، وعامر بن مالك إنّما لاعب الأسنَّة بيديك ، وقَيس بن زهير إنما استعان بدهائك ، وإياس بن معاوية إنَّما استضاء بمصباح ذكائك ، وسَحبانَ إنَّما تكلّم باسانك ، وعمرو بن الأهتم إنما سَحر ببيانك ، وأنّ الصُّلح بين بكر وتَغلِب تمَّ برسالتك ، والحمالات بين عبس وذُبيان أسندت إلى كفالتك ، وأنَّ احتيال هَرِم لعلقمة وعامر حتى رضيا كان ذاك عن إشارتك ، وجوابه لعمر — وقد سأله عن أيّهما كان ينفِّر — وقَع عن إرادتك ، وأنَّ الحجّاج تقلّد ولاية العراق بجَدّك ، وقُتيبة فتح ما وراء النَّهر بسَعْدِك ، والمهلَّب أوْهَنَ شَوْكَة الأزارِقة بأيْدِك ، وفرَّق ذاتَ بينهم بكَيْدِكَ ، وأنّ هِرْمس أعطى بليناوسَ ما أخذ منك ، وأفلاطونَ أورد على أرسطاطاليس ما نَقَل عنك ، وَبَطْلَيْمُوسَ سوَّى الأسْطُرلابَ بتدبيرك ، وصوَّر الكُرةَ على تقديرك ، وبُقراطَ عَلَّمَ العِلَل والأمراضَ بلطفِ حِسِّكَ ، وجالِينُوسَ عَرَفَ طَبائعَ الحشائش بدقَّةِ حَدْسِكَ ، وكلاهُمَا قَلَّدَكَ فِي العِلاَج ، وسألكَ عن المِزَاج ، واسْتَوْصَفَك تركيبَ الأعْضَاءِ ، واسْتَشارَكَ فى الدَّاءِ والدَّوَاء ، وأنَّكَ نهجْتَ لأبي معشرٍ طَرِيقَ القَضاء ، وأظْهَرْتَ جابرَ بن حيَّانَ عَلَى سِرِّ الكيمِيَاء ، وأعطيتَ النَّظَّامَ أصلاً أدركَ به الحقائقَ ، وجَعَلْتَ للكندىّ رسماً استخرَج به الدَّقائق ؛ وأنّ صِناعة الألحانِ اختراعُك ، وتأليفَ الأوتارِ والأنقار توليدُك وابتداعُك ، وأنّ عبدَ الحميد بن يحيى بارِى أقلامِكَ ، وسَهْل بن هارون مُدَوِّنُ كَلامِكَ ، وعَمرو بن بحر مُسْتَمْلِيك ، ومالكَ بن أنسٍ مُسْتَفْتِيكَ ، وأنّك الّذى أقام البراهين ، ووضَع القوانين ، وحدّ الماهيّة ، وبيّنَ الكيفيّة والكمّيّة ،

وناظر في الجوهرِ والعَرَض ، وميزَ الصِّحّة من المرض ، وفكّ المعمّى، وفصّل بين الاسمِ والمُسَمّى ، وصرّف وقسّم ، وعدّل وقوّم ، وصنّف الأسماء والأفعال ، وبوّب الظّرْف والحالَ ، وبنى وأعْرَب ، ونفى وتعجّب ، ووصل وقطع ، وثنّى وجمع ، وأظهرَ وأضْمَر ، واستفْهَم وأخبَر ، وأهمل وقيّد ، وأرسَل وأسْنَدَ ، وبحث ونظر ، وتصفّح الأدْيان ، ورجّح بين مَذْهَبَيْ مانِي وغَيْلان ، وأشارَ بذَبْحِ الجَعْد ، وقَتْلِ بشّار بن بُرْدٍ ، وأنّكَ لو شِئْتَ خَرَقْتَ العَادات ، وخالَفْتَ المَعْهُودات ، فأحلْتَ البِحارَ عَذْبَةً ، وأعدْتَ السّلامَ رَطْبَةً ، ونقلْتَ غداً فصارَ أمْساً ، وزِدْتَ في العَناصِرِ فكانَتْ خَمْساً ، وأنّكَ المقولُ فيه : « كلُّ الصّيْدِ في جوف الفَرا » .

و : ليس على اللهِ بمستنكَرٍ أن يَجمَعَ العالَمَ في واحدِ

والمعنىٰ بقول أبي تمّامٍ :

فَلَوْ صَوَّرْتَ نَفْسَكَ لَمْ تَزِدْها عَلَى ما فِيكَ مِنْ كَرَمِ الطِّباعِ

والمرادِ بقول أبي الطيّب :

ذُكِرَ الأنامُ لَنَا فكان قصيدةً كُنْتَ البديعَ الْفَرْدَ من أبْيَاتِها

فكدَمَتْ في غَيْرِ مَكْدَمٍ ، واسْتَسْمَنَتْ ذَا وَرَمٍ ، ونفَخَتْ في غَيْرِ ضَرَمٍ ، ولَمْ تَجِدْ لِرُمْحِ مَهَزًّا ، وَلاَ لِشَفْرةٍ مَحَزًّا ، بل رضيتْ من الغنيمة بالإياب ، وتَمَنّتِ الرُّجُوعَ بِخُفَّيْ حُنَيْنٍ ، لأنّي قُلْتُ :

* لَقَدْ هَانَ مَنْ بَالَتْ عَلَيْهِ الثَّعَالِبُ *

وأنشَدْتُ :

عَلَى أنَّهَا الأيَّامُ قَدْ صِرْنَ كُلُّهَا عَجَائِبَ ، حَتَّى لَيْسَ فِيهَا عجائبُ

وَنَخِرْتُ وَكَفَرْتُ ، وَعَبسْتُ وَبَسَرْتُ ، وَأَبْدَأْتُ وَأَعَدْتُ ، وَأَبْرَقْتُ وأرعدتَ .

و : * همتُ ولَمْ أفعلْ وكِدْتُ ولَيْتَنِي *

جمال الدين ابن نباتة المصري ، المصدر السابق ،ص.3،5

نص الرسالة الهزلية

الـملـحق: 02

www.raseef22.com

صورة خيالية لولادة بنت المستكفي

الـمـلـحق: 03

www.raseef22.com

صورة خيالية تجمع ولادة بنت المستكفي و الوزير ابن زيدون

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

1) ابن الابار(أبو عبد الله محمد ابن عبد الله ، ت،658هـ/1260م) ،تحقيق: حسن مؤنس، مكتبة نشر الثقافة الإسلامية .

2) ابن الخطيب (لسان الدين السليماني ،ت ،776 هـ1374م)اعمال الاعلام في من بويع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق: ليفني بروفنسال، مكتبة الثقافة الإسلامية، ط1، القاهرة ،2004م.

3) ابن الرشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر و أدبه و نقده ،تحقيق : شهاب الدين عبد الحميد، ط4، بيروت، ج1،د.ت.

4) ابن بسام الشنتريني (أبو الحسن علي ،ت، هـ542/1148م)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق : إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، د.ط ، د.ت.

5) ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن عبد الله ، ت،578هـ/1183 م) كتاب العلة في تاريخ علماء الأندلس، المكتبة المصرية، د.ط، بيروت، 2003 م.

6) ابن بشكوال(أبو القاسم خلف الله ، ت، 578 هـ/1123 م)،الصلة في تاريخ علماء الاندلس، المكتبة المصرية، د.ط، لبنان، 2003م.

7) ابن حزم الاندلسي (محمد بن علي بن أحمد بن سعيد ، ت،456هـ/1064م)، رسائل إبن حزم الأندلسي، تحقيق : إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، د.ط، 1980 م.

8) إبن حزم الأندلسي، جمهور الأسباب العرب، تحقيق : عبد السلام هارون، دار المعارف، د.ط، القاهرة، 1971 م.

9) ابن حزم، طوق الحمامة بين الألفة و الألاف، تحقيق: محمد يوسف الشيخ ومحمد و غريد الشيخ، دار الكتاب اللبناني، ط 1،بيروت 2004 م.

10) ابن خاقان (أبو نصر،ت، 528هـ/ 1134م)،قلائد العقيان، مطبعة التقدم العلمية، ط1 ،مصر، 1320هـ.

11) ابن زيدون (أحمد أبو الوليد ، ت،463 هـ/1070م)، ديوان إبن زيدون و رسائله، تحقيق : علي عبد العظيم، مكتبة النهضة مصر، د.ط، 1957م.

12) إبن زيدون، ديوان إبن زيدون، تحقيق : عباس إبراهيم، دار الفكر العربي، ط1 ،1996م.

13) ابن زيدون، ديوان إبن زيدون، دراسة و تهذيب عبد الله سندة، دار المعرفة، ط1،لبنان، 1426هـ/2005 م.
14) ابن زيدون، ديوان إبن زيدون، شرح : يوسف فرحات، دار الشباب الغربي، ط2 ،1994م.
15) ابن سعيد المغربي (علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك ، ت ،686 هـ،1286 م) ،المغرب في حلى المغرب، تحقيق : شوقي ضيف، دار المعارف، ط1 ،مصر، 1964م.
16) إبن نباتة (جمال الدين المصري): سرج العيون في شرح رسالة إبن زيدون، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ،دار الفكر ،د.ط،د.ت .
17) ان خلدون عبد الرحمان بن محمد بن أبو زيد ، ت،808 هـ/1405 م)، المقدمة، دار الكتاب اللبناني، ط3،بيروت،1967م.
18) ان عذاري المراكشي (أبو عبد الله محمد ، ت، 652هـ/1295 م)،البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، تحقيق : ليفني بروفنسال، دار الثقافة،ط2،بيروت، 1980 م.
19) الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ،ت، 626هـ/1229 م)، معجم البلدان دار صار.د.ط.د.ت
20) الزجالي(يحي عبيد الله بن أحمد ، ت، 694هـ 1294 م)، أمثال العوام في الأندلس، تحقيق : محمد بن شريفة، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية و التعليم الأهلي، د.ط، المغرب، القسم الثاني، 1971 م.
21) الزركلي خير الدين ، قاموس الإعلام و التراجم، دار العلم للملايين، ط3، بيروت، 1980م.
22) الصفدي (خليل بن أبيك) ، تمام المتون في شرح رسالة إبن زيدون، تحقيق : أبو القنصل إبراهيم، المكتبية المصرية، د.ط، بيروت، 1969م.
23) الضبي (أحمد يحي بن عميرة ،ت، 599هـ/1202م) تحقيق : إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، ط1 ، 1989 م.
24) المراكشي (عبد الواحد أبو علي بن محمد التميمي ، ت، 647هـ/1249م)،المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق : محمد سعيد العريان، مجلس الشؤون الإسلامية د.ط.،د.ت.

25) المقري (شهاب الدين أحمد بن محمد ، ت،104هـ/1631 م) ، نفخ الطيب في غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق : إحسان عباس، دار صادر، د.ط، بيروت، 1968 م.
26) الونشريسي (أحمد بن يحي أبي العباس)، المعيار و الجامع المغرب عن الفتاوى علماء إفريقية و الأندلس و المغرب، اشراف : محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، ط1 ،الرباط ،1981م.

المراجع العربية والمعربة :

27) أبو زيدون (وديع)، تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي في سقوط الخلافة في قرطبة، مكتبة النرجس الأهلية، ط1، بيروت، لبنان، 2005 م.
28) بن مخلوف (ربيعة) ، الإنسجام النصي في الرسالة الهزلية لإبن زيدون، جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة، 2008.2009 م.
29) البني(فايز) ، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس هجري، دار البشير للنشر و التوزيع، د.ط، 1989م.
30) بوفلاقة (سعيد)، الشعر النسوي الأندلسي، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط، 1995م.
31) بيبرس (هنري) ، الشعر الأندلسي في عصر الطوائف، ترجمة أحمد مكي، دار المعارف، ط1، د.ت.
32) جنثالث بالانثيا (انخل)، تاريخ الفن الأندلسي ترجمة حسين مؤسس المكتبة الثقافية الذاتية د.ط.د.ت
33) خضر (فوزي)، عناصر الإيداع الفني في شعر إبن زيدون، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود للإبداع الشعري، د. ط، د.ت .
34) خلاص (صلاح)، إشبيلية في القرن الخامس هجري دراسة أدبية تاريخية، دار الثقافة، د.ط،د.ت.
35) الدغيلي (محمدسعيد)، الحياة الإجتماعية في الأندلس و أثرها في الأدب الأندلسي، ط1 ،1948م.
36) الدوزي (رينهارت) ، ملوك الطوائف و نفحات في تاريخ الإسلام، ترجمة كمال الكيلاني ، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة، ط1، 2013م.

37) دويدار(حسين يوسف)، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي، مطبعة الحسين الأندلسية، ط1، 1994 م .
38) ديورات (ول)، قصة الحضارة، ترجمة زكي محمود و أخرون، د.ط،د.ت.
39) الرفاعي (مصطفى صادق)، تاريخ الأدب العربي، مكتبة الإيمان، ط1، القاهرة، 1986 م.
40) رومية (وهب) ،شعر إبن زيدون قراءة جديدة (391-463 هـ)، ط1، منشورات الهيئة العامة السورية وزارة الثقافة، دمشق، 2014 م.
41) سعيد (محمد) ، دراسات في الأدب الأندلسي، دار الكتب الوطنية، ط1، 2001 م .
42) السمرائي (اسامة عبد الحميد) ، تاريخ الوزارة في الأندلس(138-897 هـ/755 1496م)، دار الكتب العلمية د.ط بيروت د.ت
43) شافع عبد الحميد (رواية)، المرأة في المجتمع الأندلسي من الفتح الأندلسي للأندلس حتى سقوط قرطبة، عين للدراسات و البحوث الإنسانية والإجتماعية، ط1، 2006م.
44) الشعكة (مصطفى) ، الأدب الأندلسي موضوعه و فنونه، دار المسيرة للنشر و التوزيع، ط1 ،عمان، 1979م.
45) الصوفي (خالد) ، تاريخ العرب في الأندلس ملوك الطوائف بنو جهور في قرطبة، د.ط، د.ت.
46) ضيف (أحمد) ، بلاغة العرب في الأندلس، دار المعارف و النشر، ط2،د.ت.
47) ضيف (شوقي)، نوابغ الفكر العربي إبن زيدون، دار المعارف، ط1، د.ت.
48) عباس (إحسان) ، تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف و المرابطين، دار الشروق، ط1،1977 م.
49) عباس (إحسان) ، تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، دار الثقافة، ط1، بيروت، 1985م.
50) عبد العزيز (عتيقة) ، الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ،د.ط،د.ت.
51) عبد الوهاب الفريح (سهام)، المرأة العربية و الابداع الشعري، دار جرير للنشر و التوزيع، ط1، عمان 2010م.

52) علي (عبد الرحمان) ، التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، دار القلم، ط1، بيروت ،1981 م.
53) عنان (محمد عبد الله) ، دولة الإسلام في الأندلس العصر الثاني دول الطوائف منذ قيامها في الفتح المرابطي، مطبعة المدني، ط4، 1997م.
54) العني (محمد شهاب) ، الشعر السياسي في عصر ملوك الطوائف، دار دجلة، ط1، عمان 2010م.
55) غزال(محمد عدنان) ، مصادر دراسة ابن زيدون، د.ط، الكويت، 2004 م.
56) غومس (امليوغراسة) ، الشعر الأندلسي بحيث في تطوره و خصائصه ، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية ط1 1952م.
57) القحة (حسن محمد)، دراسات في التاريخ و الأدب و الفن الأندلسي، دار السعودية للنشر و التوزيع، ط1، 1985 م.
58) كراتشوفيكي (أغنطيوس)، دراسات في التاريخ و الأدب العربي، دار النشر علم موسكو، د.ط 1965م.
59) مكي (أحمد الطاهر) ، دراسات أندلسية في الأدب و التاريخ و الفلسفة، دار المعارف، ط2، القاهرة، 1987م.
60) النوش (أحمد حسين)، التصوير في الحياة الإجتماعية في الأندلس، دار العلم، ط1، بيروت، 1999 م.
61) ولد اب(أدي) ، الرسالة الهزلية قراءة للوجه الأخر لإبن زيدون، منشورات جامعة محمد الخامس ، د. ط ، د.ت.

المجلات:

62) أقدح (حسناء)، النرجسية و تجلياتها في غزل إبن زيدون، مجلة جامعة دمشق، مجلد 29 ،العدد 1 ، 2009م.
63) بنت عبد اللطيف الجوهر (خلود) ، ضادية إبن زيدون ت 463 هـ، دراسة في البنى الدلالية، مجلة الجمعية السعودية للغة العربية، العدد 16، 1436 هـ.

64) حمزة عباس (فائزة) ، صورة من الاسهامات المرأة الأندلسية، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، العدد 1.

65) عمران (رحمى) ، صورة المرأة في الشعر الأندلسي في عصر الملوك الطوائف، مجلة القسم العربي، جامعة بن جاب لاهور، باكستان، العدد 18 ، 2011 م.

66) المشهداني (محمد مولود خلف)، الرسائل الشعرية عند إبن زيدون، مجلة الكتاب، العدد 43، كلية الأدب، بغداد، 1997 م

67) موسى محمد نور (أمال) ، الفن البلاغي في نونية إبن زيدون، مجلة العلوم الإنسانية و الإقتصادية، العدد1، قسم كلية اللغات و الترجمة، جامعة الرباط .

68) هاشم(مجيد يونس) ، معاني الغزل عند شاعرات الأندلس، مجلة الفتح، العدد 14، جامعة ديالى، كلية التربية الانسانية، 2005م.

المذكرات الجامعية :

69) بوشريط(محمد)، ظاهرة البيوتات الأندلسية و دورها الثقافي(300 ،. 460 هـ/ 912،1067م)، كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية، جامعة وهران، 2011، 2012م.

70) ربوح (عمر)،ابو محمد ابن عمار الأندلسي حياته و شهرته ،جامعة باتنة، 1996.1995م

71) نور حياتي(اتيك) ، الاستعطاف في شعر ابن زيدون،كلية الاداب والعلوم الانسانية،جامعة شريف هداية الله الحكومية الاسلامية ، جكارتا ، 1436هـ/2015م.

فهرس
الموضوعات

مقدمة

مدخل 06

الفصل الاول : وَلّادة بنت المستكفي.....17

1)- نسبها و نشأتها.....17

أ)- مولدها وشبابها 17

ب)- أثر شخصية والديها على شخصيتها.....20

2)- مسيرتها العلمية.....25

أ)- نوعية ثقافتها.....25

ب)- منزلتها العلمية.....27

3)- وصف ابن زيدون لها ووفاتها.....30

أ)- ولادة من خلال غزل ابن زيدون.....30

الفصل الثاني: تأثيرات ولادة بنت المستكفي.....41

1)- دور ولادة بنت المستكفي السياسي.....41

أ)- منزلة ابن زيدون عند الجهاورة.....42

ب)- تأثير العلاقة بين ابن زيدون وولادة سياسيا.....44

2)- تأثير ولادة على الأدب الاندلسي 56

أ)- اسهام مجلسها الأدبي في الحياة الثقافية.....56

ب)- مميزات شعر ولادة بنت المستكفي وتأثيراته.....61

3)- انعكاس شخصية ولادة بنت المستكفي على الحياة الاجتماعية.....68

أ)- تأثير شعر ولادة بنت المستكفي على الأفراد بقرطبة.....68

ب)- أسباب قدرة ولادة على التأثير في المجتمع و نتائج ذلك.....73

الفصل الثالث: نماذج من تأثيرات ولادة بنت المستكفي.....79

1)- قراءة في الرسالة الهزلية.....79
أ)- دوافع إنشاء الرسالة الهزلية.....79
ب)- وصف الرسالة الهزلية.....83
2)- تقييم لتأثيرات ولادة بنت المستكفي.....89
أ)- ولادة بين التحلل و التحرر.....89
ب)- إنعكاس صورة ولادة على طبيعة المرأة الأندلسية.....93
خاتمة.....99
ملاحق البحث.....103
قائمة المصادر والمراجع.....109
فهرس الموضوعات.....116